الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٨٤ - ١١ فبراير سنة ١٩٣٥ - السنة الثالثة

3 me Année, No. 84.

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-11-2-1935

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٣ — ١١ فبراير سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

كلمات فى الصداقة

للآنسة النابهة « مىّ »

مهداة إلى الأستـاذ أحمد حسن الزيات ،
وإلى الدكتور طه حسين ، وإلى أصحابهما جميعاً

قد تبدو هذه الكلمات غريبةً للذين لا يرون فى الصداقة إلا وسيلة نفعيَّة تعودُ على كلٍّ من المرتبطين بهـا بفائدةٍ محسوسة : كالظهور بمظهر العظمة ، أو التمكن من دحر منافس ، أو التعاون على الأساءة إلى شخص أو أشخاص ، أو جنْىِ ثمرةٍ ملموسة وتحقيق غرضٍ مالىّ أو اجتماعىّ

ونخطئُ إن نحن نسبنا إلى أهل هذا العصر وحدهم الصداقة المغرضة ، لأن تلك كانت شيمة الكثيرين فى جميع العصور وعند جميع الأقوام . قد تكون فى هذا العصر أكثر شيوعاً . وإنما نحن أشدّ شعوراً بها لأننا نعيش فى وسطها ، ويجبهنا وجهُها الخادع أنى توجّهنا

فاذا أنت طلبتَ من الصداقة شيئاً غير تلك الفوائد المتداولة ، إذا طلبتَ العاطفة الخالصة ، والفائدة الأدبية المجرَّدة ، وتلك اللذة البريئة التى تجدها فى محادثةِ الصديق بالكلام أو بالسكوت ، وشعرتَ باحتياج ملحٍّ إلى ذلك كاحتياج الدم إلى النور وإلى الهواء — إذا أنت طلبتَ هذا من الصداقة وعند الصديق ، فما

أنت في نظر تلك الفصيلة من الناس إلاّ من أهل الشذوذ والغباوة . . . على الأقل !

وعلى رغم كل ذلك فموضوع الصداقة من الموضوعات التي نقبل عليها في اهتمام ولهفة . ولو جاز لي أن أشير إلى خلق خاص فيّ ، قلت إني أشعر بشيء غير قليل من الأسف كلما انتهى إليّ أن صديقين كريمين تجافيا بعد التصافي . وقد يكون أسفي ناجماً عن نوع خاص من الأثرة لا أدركه تمام الادراك . قد يكون ذلك أن انفصام عرى الصداقة بين الآخرين كأنما ينال من إيماني بالصداقة ويزعزع من رجائي فيها

* * *

أولى ذكرياتي في هذا الموضوع ترجع الى قصة فرنسية ، هي « أبرص بلدة آووستا » بقلم كزافييه دي ميستر ، وأظنني قرأتها لأول مرة وأنا في سن العاشرة تقريباً . فيها وصف ذلك الجندي الكاتب اجتماعه برجل ابتُلى بداء البرص المروّع ، فنبذه الناس من مجالسهم ، وحايدوا الدنوّ من الدار التي عاش فيها وحده حبيساً طوال الأعوام

تطوّح السبيل بالكاتب الغريب إلى تلك البلدة وتسوقه الى الدار المخيفة ، ويلج باب الحديقة فيبصر الرجل الموبوء وهو لا يدري بحالته . وعندما يحذّره الأبرص ويفضي اليه بمحنته لا يلوذ الكاتب بالفرار ، وإنما يقترب منه ويجلس اليه مستفسراً عن معيشته وأحواله ، وعمّا يحسّه في الابتعاد عن أولئك البشر الذين هو منهم ، فيعترف الأبرص بأن آلامه الأدبية تفوق أوجاعه الجسدية ، يعترف بعذابه في حزن هادىء يشبه الامتثال والرضى ، يعترف بحاجته الى الشعور بأن قلباً يعطف عليه ويحنّ اليه ، بأن يداً تصافح يده ، بأن صدراً يتلقاه ويحتضنه ، حتى أنه لشدة حاجته تلك يحتضن أحياناً جذوع الشجر ويضمّها اليه ما استطاع ، كأنها كائنات إنسانية . يعترف بشوقه الى سماع صوت بشري ، الى تبادل السلام والحديث مع من يفكّر تفكيره ويحس إحساسه ، الى جميع تلك الأمور التي عرف قيمتها لأنه حرم منها ، والتي يتمتّع بها الجميع جاهلين أنها منحة ومتعة لأنها عادية بينهم . ويقول فيما يقول وكأنه يلخّص جميع صنوف عذابه في هذه الكلمة :

— لم يكن لي يوماً صديق

والكاتب الذي عرف كيف يصغي الى شكايته في هدوء ورباطة جأش ، تهتاج تلك الكلمة شجونه وتحزّ الشفقة في قلبه فلا يتمالك من الهتاف :

— يا لك من تعس !

تلك الكلمة من الأبرص ، وردّ الجندي الكاتب عليها ، استقرت في موضع عميق من روحي عند قراءة القصة ، بل القصة كلها تجمعت عندي في تلك الكلمة وفي التعقيب عليها ؛ وقد يكون لها الأثر الكبير في تكوين إيماني العنيد بأن لابدّ من وجود الصداقة — مع اعتقادي بأن نفاسة الصداقة نفسها تحتم فيها الندرة

* * *

لسنا في حاجة إلى دهور نعيشها لندرك كم في هذه الحياة البشرية من خبث ومراوغة ونفاق . اختبارات قليلة تكفي لتدلنا على أن بعض المُثُل العليا تخذلنا وتصرعنا بلا رحمة ، ثم تنقلب مسوخاً ساخرة مزرية ، لا تلبث أن تكشر عن أنيابها ، مهدّدة متوعدة — وهي التي تجلببت في نفوسنا من قبل جلباب القدسيّة والعبادة !

اختبارات قليلة في أحوال معيّنة ، وأحوال مفاجئة ، تكفي لتظهر لنا أن من الناس من يتاجر بكل عاطفة صالحة لتنفيذ أغراض غير صالحة ، ومن يستغل كلّ استعداد كريم لنتيجة غير كريمة ، ومن لا يكتفي بالظلم والاجحاف ، بل لا يتورّع عن إيذاء الذين أخلصوا النية في معاملته ، ولم ينله منهم إلاّ الخير . وكم من مذيع أنباء الصداقة لا لسبب آخر سوى التوغّل في الايذاء باسم الصداقة ، في أساليب سلبية أو إيجابية لا يعلم إلاّ هو كم هي خبيثة وكم هي فعّالة

وكيف تعامل أولئك الناس عندما تكشف عما يضمرون ؟ أبمحاسنهم ؟ إنهم يحسبون المحاسنة ضعفاً ومداراة ، فيمعنون في الأذى ؟ أبمخاشنهم ؟ إنهم يزعمون المخاشنة جحوداً ومكابرة ، فيمعنون في الأذى . ولعلّ الشاعر العربيّ كان في حالة كتلك عندما أرسل هذه الزفرة المنغومة التي هي من أبلغ ما أعرف في معناها :

عذيرى من الانسان ، ما إن جفوته صفالي ، ولا إن صرت طوع يديه

وإني لمشتاق إلى ظلّ صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

يأس هذا الشاعر يدلّ على حاجته الضميمة إلى صداقة نقية غير مغرضة . فنحن مهما تنكّر لنا معنى الصداقة الصافي ، ومهما غدر بنا الغادرون فعلمونا الحذر — فاننا لا نستطيع انكار

٣ـ كلمــة وكُلَيْمَة(١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

إذا أسندت الأمةُ مناصبها الكبيرة إلى صِغَار النفوس، كَبُرَتْ بها رذائلُهم لا نفوسُهم . . .

شرُّ المُصْلِحين رجلٌ مُسَلَّطٌ على أُمّةٍ يحكمُها بعقل كبيرٍ فيه موضعُ فكرةٍ مجنونة(٢) . . .

إذا فَسَقَ الحاكمُ، فقد حَكَمَ الفسق

تُبْتَلَى الأممُ أحياناً ببعض المجدِّدين، فلا يكون أولُ جديدهم إلا عيوبَ أنفسهم . . .

يقول لك الكذّابُ إنه يكره الكَذِب، ولكنه في هذا أيضاً كذاب . . .

قيمةُ كل شيء هي قيمةُ الحاجة إليه؛ فترابُ شبرٍ من الساحل هو في نظر الغريق أثمن من كل ذهب الأرض

حقيقة الذُّل ألا يعرفَ الذليل حقيقةَ نفسه

المعلِّم ثالثُ الأبوَيْن؛ فلينظرْ كيف يَأْبُو حين ينظرُ كيف يُعَلِّم

إنما كَثُرَت الآراء في المرأة، لأن المرأة هي ما يَفهمُهُ كلُّ رجلٍ منها بنفسه

لا تبلغُ الفلسفةُ ولا العلمُ ولا النهضة النسائية . . . في تعريف المرأة، أكثرَ من أنها ليست رَجُلا . . .

لو عَقَلَ نساء هذا الزمن؛ لطالَبْنَ بحقوقهنَّ في الرجال، لا بحقوقهنَّ على الرجال

يبالغُ بعضُ الكتّاب في مُظَاهَرة النساء على تَمَرُّدهنَّ، إذ كانت هذه هي اللغة الفصيحةَ التي يُنادي بها جمالُ المرأة . . .

أبلغُ الردّ على هؤلاء الغاليات في المطالبة بحقوق المرأة، أنهنَّ أو أكثرهن، بين واحدةٍ فَقَدَت الرجُل، وأخرى سُلِبت الرجُل، وثالثةٍ لم تَنَل الرجُل؛ فهي أحلامُ إفلاسٍ كما ترى . . .

إسْتِرْجَالُ المرأة، وسوء خُلُقِ المرأة، وقَذَارةُ المرأة، أحدُ الثلاثة هو في قُبحِهِ — كالثلاثة جميعاً

العشقُ الدنيء دنيء مرتين؛ حتى إن المرأةَ الساقطةَ لو أخلصت الحبَّ لرجل من عشّاقها، لسقطت مرةً ثانيةً في رأي الباقين

في الأُمَمِ المنحطَّة، تجدُ نفاقَ الكبار للكبار، هو الذي أضاع الكبارَ والصّغار

في مثل هذا العصر، يكادُ يكون التعريفُ الصحيح للأفضلِ من الناس أنه الأقلُّ سفالة . . .

كثيراً ما جَنَتِ المروءةُ على أهلها؛ ولكنَّ احتمالَ هذه

(١) كتب إلينا من أوربا أن هذه الكلمات ترجمت عن «الرسالة» إلى الفرنسية

(٢) كفكرة إسقاط الدين مثلا أو هدم اللغة أو تقليد أوربا بعين عوراء . . . أو دفع المرأة في سبيل الاباحة الخ

احتياجنا العميق إلى الصديق. لأنّ لدينا مُرغمين كميةً من المودة والوفاء والتسامح والغفران والتضحية لا بدّ من تصريفها وإنفاقها لنزيد بالعطاء غِنًى. وعند من نصرفها وعلى من ننفقها إلا على الأشخاص الذين نراهم قمينين بأنبل ما عندنا من فكر، وأصدق ما لدينا من عاطفة؟

***

أيها الذين ربطت الحيــاةُ بينهم بروابط المودة والأخاء والتآلف الفكريّ والنبل الخلقيّ، حافظوا على صداقتكم تلك واقدروها قدرها! فالصداقة معينٌ على الآلام ومثارٌ للمسرات، وهي نور الحياة وخمرتها، وكم تكنُّ من خيرٍ ثقافيٍّ وعمليٍّ للنابهين!

لا تخافوا أن تكونوا من أهل الشذوذ والسذاجة في نظر المغرضين! ألا بئست نفسا فقدت كل سذاجة، وسارت على وتيرةٍ واحدة، لا تعيش إلاّ للغرض وبالغرض! ما أفقرها وإن كانت ثريّة! وما ألصقها بالثرى وإن كانت عليّة! وحسبكم أنتم أنكم بإيمانكم بالصداقة توجدون الصداقة، وبممارستكم أساليب الصداقة إنما تكوِّنون خميرة الصفاء والصلاح والوفاء!

«مي»

الجناية هو أيضاً من المروءة

إذا عاملت لئيماً فأنت بين اثنتين : اما أن تبيعه ذمتك بلا شيء ، أو تشترى ذمته بشيء . . .

أقنع اللئيم بالكرم الذى فى نفسك ؛ فبهذه الطريقة وحدها يفهم اللؤم الذى فى نفسه

الخطر الذى تكون فيه العناية الالهية ، هو نجاح اسمه الخطر .

علم الجاهل فى شيئين : فى سكوته ، وفى السكوت عنه

أشد ما فى الكسل أنه يجعل العمل الواحد كأنه أعمال كثيرة

الرجل العظيم فى فنه ، قلب إنسانى لا إنسان ؛ فلا يقاس إلا ليقاس عليه غيره

من هوان الدنيا على الله أن رذيلة الملحد فى رأى المؤمن هى أخت غفلة المؤمن فى رأى الملحد

ليس فى بغضاء اللئيم أبغض من طريقة إظهارها ، إنه لا يعلن بغضه بل لؤمه المبغض

الرأس الفارغ من الحكمة لا يوازنه فى صاحبه إلا فم ممتلئ من الثرثرة

ما أضيع النصح فى الحب وفى الخمر ؛ لأن العاشق والمدمن كلاهما أشد افتقاراً لسروره منه إلى عقله

أفلا ترى المرأة أن طبيعتها تجعل نظرها إلى الرجل فى بعض الأوقات مهيئاً لبعض العمى . . .

قال لى عاشق حزين : ما أقدس الحزن الذى فيه روحانية الفرح : إنه حزن وسرور وشهوة نفس

إذا لم يكن فى الدنيا إلا قاض واحد ينفذ قضاؤه ، ثم احتجت أن ترفع قضية غصب أو (نصب)(١) على هذا القاضى . . . فهذه صورة كل عاشق ومعشوقه فى الدنيا

رأيت فى نومى ذات مرة أنى دعوت طبيباً لمريض عندى ؛ ثم قلت له وقد وصف الداء : هل نسخن الماء ؟ فقال : لا تسخن الماء ؛ ولكن ضعه على النار حتى يسخن . . . هذا بعينه أسلوب كبرياء المرأة العاشقة حين تقول : لا على وزن «لا تسخن الماء ولكن . . . »

إذا طال هجرك لمن تحبها ، كان أثر مرور الزمن عليها كأثره فى الحرير المصبوغ ؛ إن لم يبد فى العين ذليل النسج ، بدا فيها ذليل اللون . . .

الرجلان العاشقان لامرأة واحدة لا يتحابان ، والملكان الطامعان فى مملكة واحدة لا يتسالمان ، والطفلان الشريكان فى لعبة واحدة لا يتصافيان . فاللعبة امرأة الطفلين ، والملك امرأة الملكين ؛ أما المرأة فهى امرأة ومُلك ولعبة ، وأتم النساء من تجمعهن

يقول لك الزاهد العابد : أخرج من الدنيا وادخل فى نفسك ، ويقول لك الماجن الخليع : أخرج من نفسك وادخل إلى الدنيا ، ويقول لك الحكيم العاقل : كن فى الانسانية تكن فى نفسك وفى الدنيا

ترى ماذا يحتاج الحيوان فى أوربا من قوام عيشه ولذاته ، غير ما يحتاج اليه حيوان مثله فى قرية من قرى الزنج ؟ فليس فقر المدنية فقر الطبيعة ، ولكنه فن العقل والخيال والوهم . وهذه الطبيعة تكفى كل أهل الأرض شمساً وهواء وطعاماً وشراباً وجمالاً . ولكنها لا تنبت خيالات للعيش ولا قواعد للعيش . فأصبحت لا تكفى ما دام غنى واحد ينفق فى لذة يوم قوت مدينة . لا يأكل الحمار الأرض كلها ليجيع الحمير . ولكن الغنى يفعل ذلك . . .

رأيت القوانين كملاجىء اللقطاء . هذه تربى صغار الأطفال وتلك تربى صغار الجرائم . . . ؟

طنطا مصطفى صادق الرافعى

(١) قولهم نصب عليه بمعنى احتال واستعمالهم كلمة النصب منها ؛ ليس فصيحاً ولكنه عامى مولد . وقد أصبحت الكلمة من الألفاظ القضائية فلا تمنع أن تجرى مجرى المصطلحات . وفى اللفظة مع عاميتها دقة بليغة

في الأدب المصري

مجالس الأدب
في القرن الثامن عشر
للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لقد هممت اليوم أن أكتب إلى الرسالة الغراء مقالاً ثانياً أستأنف فيه وصف مجالس الأدب في مصر في القرن الثامن عشر في أيام رضوان بك أمير مصر وأحد مليكيها في ذلك العصر، ولكني رأيت الأمر قد استعصى على إذ جعلت أنقل من قول أحد شعراء العصر بعض ماراقني، وذلك الشاعر هو ابن الصلاحي، فرأيت ذلك البعض الذي اخترته قد زاد على المقدار الذي يجمل بي أن أجعله لمقال واحد. فعدلت عن رأيي الأول وقلت حسبي أن أخص بهذا المقال ذلك الشاعر وحده. ولعل الاختصار على حديث شاعر واحد أبلغ في قصدي وأقوى لحجتي التي أرمى من ورائها إلى بيان حقيقة في تاريخ مصر. فان غزارة قول شاعر واحد من شعراء هذا العصر لدليل على أن ثقافة ذلك العصر لم تكن ثقافة ضحلة، بل كانت ثقافة أعمق وأقوى مما يتوهمه الكثيرون

كان ابن الصلاحي ناظماً وناثراً وعالماً من علماء العصر. نال من العلم المزبوث أقصى ما يناله المتطلع إلى الحياة العقلية. وقد كان تلميذاً للشيخ محمد الحفني المشهور وأجازه ذلك الشيخ إجازة علمية قد يكون من الطريف أن ننقلها هنا. قال الشيخ:

« نحمدك يا عليم يا فتاح، يا ذا المن بالعلم والصلاح، ونصلي ونسلم على أقوى سند، وعلى آله وصحبه معادن الفضل والمدد. أما بعد فان المولى العلامة الفهامة الحاذق الأديب، واللوذعي الأريب، مولانا الشيخ محمد الصلاحي السيوطي قد حاز من التحلي بفرائد المسائل العلية أوفى نصيب، بفهم ثاقب وإدراك مصيب، فكان أهلاً للانتظام في سلك الأعلام، باجازته كما هو سنن أئمة الاسلام، فأجزته بما تضمنته هذه الوريقات، من العلوم العقلية والنقلية المتلقاة عن الاثبات، وبسائر ما يجوز لي روايته أو ثبتت لدى درايته، موصياً له بتقوى الله التي هي أقوى سبيل للنجاة، وألا ينساني من صالح دعواته في أوقات توجهاته، نفعه الله ونفع به، ونظمه في عقد أهل قربه، وأفضل الصلاة والسلام على أكمل رسل السلام وعلى أئمة الهدى، وصحبه نجوم الاقتدا. كتبه محمد بن سالم الحفناوي الشافعي ثامن جمادى الثانية سنة ثمان وسبعين ومائة وألف »

وقد كان ابن الصلاحي فوق ذلك كاتباً حسن الخط كتب نسخة من القاموس بخط يده، وقد كان للخط الحسن نهضة في ذلك العصر مثل سائر أحوال البلاد، فقد نبغ من معلميه جماعة من أفاضل الكتاب مثل الضيائي والشاكري والجزائري والحمامي

ولكن أكبر ما امتاز به ابن الصلاحي ميله إلى فن الأدب، فقد أخذ منه بالحظ الأوفر، وقد اتصل بحلقة الأدب في بلاط الأمير رضوان ونال من خيره الشيء الكثير. على أنه كان غير منقطع اليه، بل كانت له مجالس خاصة مع جماعة من أدباء عصره ومشيخة العلم فيه. ولعل خير ما قاله من قصائده ماجاش في نفسه في تلك المجالس الخاصة

قال يصف خطرات نفسه:

بُثّا عن النائي الغريب ... جملاً من الخبر العجيب
واستوقفا الركبان ما ... بين الأراكة والكثيب
واستنشدا القلب الذي ... قد ضاع من بين القلوب
سلبته يوم الدوحتيـ ... ـن طليعة الرشأ الربيب
وسرت به نحو الخيا ... م يد الصبا ويد الجنوب
ترنو الهوادج عن صفا ... شمس تميل إلى الغروب
والبدر يذهب من خلا ... ل السحب في مرأى عجيب
والرق يخفق والمزا ... هر مثل قلبي في وجيب
يا حادي العيس التي ... سارت على قلبي الجنيب
علل عليل هوى فعهـ ... ـدك ما تقادم بالطبيب

***

إني وإن شط النوى ... وقف على حب الحبيب
كابدت ما كابدت من ... شق المرائر والجيوب
وعلمت كيف تقوم أسـ ... ـواق المعارك والحروب
ولقيت دون البيض وقـ ... ـع السمر بالصدر الرحيب
من كل ريم جائل ... في برد جردته النشيب
يحكي الغزالة في الترفـ ... ـع والغزالة في الوثوب

ألحاظه ترويك ديوا — ن الحماسة عن حبيب
وقعات أسهمه تركـ — ن جميع جسمى فى ندوب

* * *

كم ليـلة عانقت فيـ — ها قامة الغصن الرطيب
فى معهـد ما فض عنـ — ه الأنس إلا ختم طيب
والزهر يضحك من بكا — ء الطل بالثغر الشنيب
والريح تكتب فى الغديـ — ر حديث أسرار الغيوب
والطير تقرأ والغصو — ن تهز أعطاف الطروب
والورق تصدح فى الغصو — ن بصوت محزون كئيب
فى رنة الشـادى وهيـ — نمة القطا والعندليب
عجماء تعرب فى السؤا — ل وتستجيب بلا مجيب
والليـل أرسل ذيله — رصداً على أعلى القضيب
يحكى الشـعور كأنه — يروى الفروع عن الخطيب

. . .

أرنو وأحشائى من الـ — حدثان فى شك مريب
لولا الرقيب ظفرت من — لقيـاه بالفرج القريب
وكشفت من وصـلى به — ما قد ألم من الكروب

ولئن حل بنفس القارىء من هذه النفثة مثل ما حل بقلبي ، لأيقن أن ابن الصلاحى إنما كان يترجم عن قلب نابض بحياة حقيقية لا تكلف فيها ، وأنه كان يصدح بأنغام تبين عن حرارة ووجدان طبيعي . وها هي ذى نفثة أخرى أختارمنها البعض لا أنه أحسن ما بها ، ولكنه مثل مما تحويه من آيات . وهى فى مدح شيخه الحفني :

مِلْ بى فقد وقد الهجير — إنى بظلك مسـتجير
وأرح مطيك يا سميـ — ر فقد أضر بها المسير
هذا الحمى فارصـد إذا — ما استأنس الظبي النفور
واطرق كناس الغيد حيـ — ث ينام راعيه الغيور
وأمط سـتائره فذ — لك حين تنفتح الخدور
واسأل من الظبيات عن — عهد تضن به الصدور
واحفظ فؤادك أن تصيـ — ب عيونهن فهن حور
من كل غانيـة يلو — ح بوجهها القمر المنير
تختال فى مرح الشبا — ب فيخجل الغصن النضير
تسمى فتقعدها روا — دفها وينهضها الحضور
سكرى رأت كسر القلو — ب فصار ناظرها الكسير
فعلت بسحر جفونهـا — ما ليس تفعـله الخمور
حنثت معاطف خدها — لـكن لواحظها ذكور
لم أنس إذ وافى البشيـ — ر يلوح فى فمه السرور
إذ أقبلت ريح القبو — ل بها وأدبرت الدبور
فضممتهـا وبمهجتى — من حر أشواقى سعير
فتعوذت بالروض من — شر بأنفاسى يطير
روض تعلق بالمجر (م) — ة من جوانبه نهور
تبدو به زهر الزهو — ر لأنه فلك يدور
ضحكت ثغور زهوره — فبكى لهـا النوء المطير
وحنت نواعره وحنـ — ت وهى من غيظ تفور
ذكرت قديم عهودها — فانهـلّ مدمعها النمير
يا طيب أنفاس الربيـ — ـع ففى تنفسها عبير
والجو مجمرة عليـ — ها من ضبابتها بخور

* * *

والورق ساجعة لهـا — فى كل ناحيـة سمير
عجماء تعرب عن ضما — ئرنا وليس لهـا ضمير
والريح تعتنق الغصو — ن بها فتعتبق الزهور
وبدت شموس الراح تحـ — ملها الكواكب والبدور

* * *

وبكت عيون السحب حيـ — ن تساقط الدمع الغزير
نحنـا معاً فتحلت الـ — أغصان منا والنحور
رعيـا لذياك الحمى — والطرف مبتهج قرير
قد لج بالقلب الغرو — ر وذلك الطرف الغرير
ومرور أيام الصبا — من دونها العيش المرير

ثم انتقل إلى مدح شيخه ومضى فيه مثل قوله :

ملأ النواظر منـه إجـ — لالا وليس له نظير
وحمـاه ينفك الأسيـ — ر به ويستغنى الفقير
منن تذل لهـا الرقا — ب ولا يقوم بها الشكور
وجرت لنحو حماك آ — مالى وأنت بها جدير

. . .

خذها على شرط الصيا — رف إن ناقدها بصير

أليس هذا قولاً يترجم عن قلب جياش وخيال وثاب ؟

وقال فى بعض مجالسه :

هات لى قهوة الشفا من شفاهك　　واسقنيها على فخامة جاهك
عاطنيها يا أوحد العصر لطفا　　وبديع الشمال فى أشباهك
يا غزالا لو صور البدر شخصا　　ليضاهيك فى البها لم يضاهك
عاطنيها جهراً شفاها ولا تخـ　　ـش ملاما فلذتى فى شفاهك

وأرسل إلى صديق له :

ذكرتك لا أنى نطقت وإنما　　ذكرتك فى نفسى فكنت سميرها
ذكرتك فى روض تبسم عن شذا　　وقد فتحت كف النسيم زهورها
ذكرتك والأطيار تنطق عن هوى　　كأنك قد آويت منها ضميرها
فلا خير فى أرض إذا لم تكن بها　　سميراً ولا فى روضة لن تزورها

ذلك مثل من أدب حى حياة تنبض قوية ، يتفتح عن زهر نضير غض ، وهو فى الوقت عينه أدب عميق قوى ، تسمع منه نغمة حلوة بليغة تدل على روح شعب محس بنفسه آخذ فى سبيل الحياة والشباب

فالحق أن شعب مصر فى القرن الثامن عشر ، كان آخذاً فى سبيل نهضة حقيقية فى كل جوانبه ، نهضة وطنية صرف لا تشوبها رطانة أجنبية ولا لوثة أعجمية ولا سيطرة غربية . نهضة لو سارت فى سبيلها وبلغت قصاراها لكانت مصر بها اليوم فى مستوى اليابان أو إيطاليا أو فيما هو فوق ذلك . غير أن القرن الثامن عشر ، واحسرتاه ، انتهى بنكبة شاملة وداهية فادحة بإغارة الفرنسيين على مصر ، واكتساحهم كل آثار تلك النهضة الشابة فقضى عليها ولما يتم نموها ، وحفرت بين ماضى مصر وحاضرها هوة عميقة تقطع تيار الرقى الوطنى ، وتقف فى سبيل وصل الطارف بالتالد

فمجد مصر السياسى فى القرن الثامن عشر أصبح نسياً ، ومجد مصر الاجتماعى فى ذلك القرن كذلك قد أصبح أثراً دارساً ، وجهاد مصر الدستورى قد صار دفيناً تحت أنقاض تلك الكارثة ، فلم تبق منه معالم ولا آثار . غير أنا إن فاتنا أن نبنى على أثر هذا التراث المنهوب ، أو ضاع علينا أن نصل حاضرنا بذلك الماضى المضيع ، فليس أقل من أن نعرف أن لنا فى ذلك الماضى أنفاساً يليق بنا أن نحرص عليها ، وأنغاماً يجمل بنا أن نسجلها

محمد فريد أبو حديد

كيف حفرت بئراً

.... لنفسى ؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

شقراء ، ذهبية الشعر ، لا أدرى كيف أنبتها هذه الصحراء ؟ ومن بنات الفقراء ، ولكن لها دلاً وأناقة تخطئهما عند اللواتى نشأن فى كنف النعمة والترف والثراء ، وفى كلامها خفة وهزج ، وفى مشيتها تبختر لا يثقل ، وميس ليس من الاختيال . وكانت ترسل شعرها الوحف ولا تفرقه أو تضفره أو تعقصه ، بل ترده عن جبينها الوضاء وتحسر جمته عن أذن ، وتستر به أذناً . ولا تثبته بالأمشاط أو الدبابيس ، ولا تعصب رأسها بالمناديل ، فاذا عبث به الهواء وأسال قصتها على وجهها رفعت الشعرات بأصبعها أو نحتها عن أذنها ، وكنت لا أراها تبتسم إلا خيل إلى أنها ترى حلماً يسرها فيثب قلبى إلى حاقى ، وأجد حر النار فى كفى

وكان بيتى فى ذلك الوقت على « تخوم البالين » وكانت له حديقة صغيرة جعلتها شغلانى . وكان الماء كثيراً وثمنه زهيداً ، لا يتجاوز خمسة عشر قرشاً فى الشهر بالغاً ما بلغ ما أجريت منه ، فكنت آخذ كفايتى منه وأسنه على وجهه للجيران ، وكانت هذه الشقراء تجىء كل مساء بجرة فتملؤها مرة أو اثنتين أو عشراً — كما تشاء . فأقف لها وأحادثها وأساعدها على رفع الجرة إلى رأسها . ولم تكن هى الوحيدة التى تستسق ، ولكنها كانت أبرعهن شكلاً وأخفهن على الفؤاد ، وكانت تأنس منى الميل إليها والأعجاب بها ، فتطيل الوقوف معى أحياناً ، أو تتولى عنى عزق الأرض أو بذر الحب أو سقى الزرع ، واجتزاز الكلأ والعشب والحشيش أو نزع ذلك بأصوله ، وكانت أعرف منى بذلك كله وأخبر ، وكانت تضحك منى لجهلى فتقول لى مثلاً :

« ألا تحش هذه الملوخية ؟ لقد كادت تكتهل »

فأقول : « ملوخية ؟ لقد طرحت هنا حب فجل فكيف تخرج الأرض ملوخية ؟ »

فتقول : « كلا ، هذه ملوخية وقد بلغ نبتها المدى ، فاختضرها [1] وإلا فسدت »

(١) الاختضار جز الخضرة

فأقطع ورقة وأمضغها فأجد طعم الملوخية ولا أجد طعم الفجل ، وكنت أهمل أن أكتب أسماء البذور على الورق الذي أحفظه فيها ، وأعتمد على الذاكرة والذكاء فيختلط عليّ الأمر ، وأروح أظنني زرعت جزراً فاذا هو خيار ، وكنت لجهلي ألقى البزر ولا أعنى باعداد الأرض وإخلائها من الحجارة ، وكانت أرض هذه الحديقة جَلْدَةً في مواضع كثيرة وفي بطنها حجارة غليظة مختلطة بطينها ، فلا يخرج شيء مما يقع على هذه الجلاميد . فكانت الشقراء تنبهني إلى ذلك وتعرفنيه . وكنت ربما تركت في الشتاء مالا يَبْقَى عليه أصله ، وقلعت ما يُبيد الشتاء فرعه ويُبقي أرومته ، فتصلح لي من خطئي ما يتيسر إصلاحه ، ولم أكن أعرف الفرق بين ما يسمو من النبات صُعداً ويستغنى بنفسه ، وما يحتاج ، وهو يسمو ، إلى ما يتعلق به ويرقى فيه ، ومايتسطّح على وجه الأرض ، فأغرس الأعواد لما ينبت مفترشاً ، وأدع ما يحتاج إلى التعلق بلا عصب ، فكانت هي تعلمني وتقوّم المعوج وتعالج ما أفسدت

ثم حدث أن شركة الماء وضعت لنا في البيت « عداداً » يحاسبنا على القطرات بعد أن كنا نأخذ بلا حساب ، ولا ننقدها في الشهر إلا خمسة عشر قرشاً ، فأرهقني هذا « العداد » وكلفني فوق ما أطيق ، وصرت بين أمرين : إذا أبقيت على الحديقة جمت وتضورت ، فان أرضها كثيرة الرمل يذهب فيها الماء ولا يبقى منه للنبات ما يكفيه ، فحاجتها إلى السقي لا تنقضي . وإذا أنا ضننتُ بالماء ذهبت الحديقة . فشق عليّ ذلك واشتد همي ، وطال وجومي من جرائه . ورأت هي اغتمامي وسهومي فسألتني فأفضيت بشجني فقالت :

« احفر بئراً »

قلت : « ايه ؟ أحفر بئراً ؟ »

قالت : « نعم . ماذا يمنع أن تفعل ؟ »

قلت : « يمنع أن هذه أرض مضرّسة ، حشوها حجارة ولا يمكن أن يكون في جوفها ماء »

قالت : « من أدراك ؟ إني أعتقد أن في أرضك ماء غزيراً »

قلت : « أما الحرث والزرع فشيء عرفنا أنك تعرفينه ، وإن كنت لا أدري من أين جاءك هذا العلم ، وأما الآبار وحفرها .. »

فقاطعتني وقالت : « أظنني أستطيع أن أدلك على موضع العين في هذه الأرض — غدا في النهار أختبر الأرض وأجسها »

* * *

وفي عصر اليوم التالي جاءت وفي يدها عود على هيئة اللام ألف ، ولكنّ في ساقه ، قبل موضع التشعّب ، طولاً وقالت :

« أنظر . سأجس الأرض بهذا » ورفعته لعيني

فقلت : « وكيف تصنعين ؟ إنه غصن لا أكثر »

قالت : « هو حسبي . وما أعرفه خذلني أو كذبني قط ، ولكن عهدي بهذا الجس بعيد وأخشى أن أكون قد فقدت القدرة على استنبائه »

قلت : « استنباؤه ؟ أو يقول لك هذا الغصن أين منبع الماء في جوف الأرض ؟ »

قالت : « نعم ، وسترى بعينيك إذا وفقني الله »

وأقبلت على الأرض تجسها شبراً شبراً ، وكانت تضع العود على الأرض كأنها تغرسه فيها وتسنده بأصابعها وتنظر إلى شعبتيه برهة ، ثم ترفعه وتقدمه خطوة أو خطوتين ، وهكذا يميناً وشمالاً ، حتى رأيت إحدى الشعبتين تميل قليلاً فعجبت

فقالت : « هنا ماء ولكنه قليل »

ومضت تنقل العود من مكان إلى مكان حتى بلغت الجدار الآخر فقالت :

« يخيل إلى أني سأخفق »

فلم أقل شيئاً ، وماذا عسى أن أقول ؟ لقد تركتها تختبر الأرض وأنا كافر بها — أعني بالفتاة وقدرتها على الاهتداء إلى منابع الماء في بطن الأرض ، ولكني قلت إنه لا بأس عليّ من ذلك ، وحسبي أني أقضي معها ساعة أنعم فيها بحديثها وبالنظر إليها ، ولكن انثناء العود إلى الأرض ، من تلقاء نفسه ، ومن غير أن يمسه شيء حيرني ، وصرفني عن الفتاة وجمالها ، إلى هذه الظاهرة الغريبة

وجعلت أقول لنفسي : « إذا كان كل ما يتطلبه الأمر أن يجيء الانسان بمثل هذا العود ذي الشعبتين ، وأن يركزه أو يغرسه في الأرض ، فاذا كان هناك ماء انثنى وحده ، فما أسهل ذلك ! ! وكيف غاب هذا عن الناس وفاتهم هذا العلم اليسير ؟ »

ولم أكتم هذا الذي دار بنفسي ، فقالت بابتسام : « لا . إن المعوّل على اليد لا على العود »

ولم أفهم شيئاً ، ولكني سكت ، فقد تجهمتْ ، وطال سكوتها وتقطيبها ، وثبت حملاقها ، وبدت لي كأنها تعصر نفسها عصراً ، ثم قالت :

« افتح هذا الباب »

وكان باب حجرة مهجورة في فناء البيت ، نحبس فيها الدجاج ، ففتحته فدخلت وقالت : « انزع هذا البلاط »

فأطعت ، وتجشمت عناء شديداً ، ولكني أمضيت لها مشيئتها ، فخنت على الأرض ، وأقامت العود في ترابها ، وإذا بالشعبتين جميعاً - بعد هنيهة - تنثنيان على الأرض - عمودياً - حتى لخيل إليّ أنهما ستقصفان

ونهضت ، ومسحت العرق المتصبب ، وقالت :

«هنا يجب أن تحفر . الماء غزير ، ولكنه بعيد . وماذا يهم ؟ ستجد فوق الكفاية من الماء »

ولم يخالجني شك في صدقها ، فجئنا بعد أيام بالرجال ، فحفروا ووسعوا ، واحتجنا أن نهدم الجدار الذي فيه الباب فأتينا عليه ، وانحدر الرجال الى أكثر من ستة أمتار ، وقضوا في ذلك أياماً طويلة ، حتى بلغ أحدهم حجراً فزحزحه بالمعول فأنبط الماء من تحته واستغنيت عن شركة الماء

***

وقلت للفتاة : « لماذا جشمت نفسك هذا العناء ؟ »

قالت : هو جزاء المعروف »

قلت : « ليس إلا ؟ »

قالت : « وعز عليّ أن تضطر الى تضييع الحديقة »

قلت : « وماذا أيضاً ؟ »

قالت : « لا أدرى ماذا أيضاً ؟ غلبني شعوري »

قلت : « ليس في وسعي أن أجزيك . . . . »

قالت تقاطعني : « لا تحاول ! . . . . حسبي أني أعدت الى وجهك الابتسام »

قلت : « اسمعي . إن الحديقة مدينة لك بحياتها ، وأنا مدين لك بمعنى هذه الحياة ، ولست أظنها تقوى على فراقك ، ولا أنا يا فتاتي . . . . »

قالت : « لم أصنع شيئاً »

قلت : « أزخرت حياة كادت تجف وتذوى ، فماذا يستطيع انسان أكثر من هذا ؟ »

قالت : « كلا . كل ما صنعت أني وجدت ماء ، وقد وجدته مائة مرة قبل اليوم ، فلم أسمع مثل كلامك . . . . انك تمزح ولاشك ! »

قلت : « بل أنا جاد . لاغنى بي ولا بالحديقة عنك . . . . فما قولك ؟ »

قالت : « كلا . للحديقة صاحبها ، ولك الدنيا ، أما أنا فذاهبة »

قلت : « ذاهبة ؟ أين ؟ »

قالت : غداً — أو بعد غد — يرحل أبي ، وأنا معه ، فما بقي ما يستوجب مقامنا »

فدنوت منها ووضعت يدي على كتفها وسألتها :

« أنت أوعزت اليه ؟ »

قالت ، وهي مطرقة : « نعم . والآن أستودعك الله ! »

فتعلقت بها فلم يجدني ذلك وقالت :

« أنا بنت الصحراء ، وأنت ابن المدنية . . . لست لي ، ولست لك . . . وقد تركت لك الحديقة . . . . لتذكرني بها »

وكان هذا آخر عهدي بها . . .

ولكني لم أطق هذه الذكرى ، ولم أعد أحتمل أن أرى الحديقة أو البئر التي حفرتها ، فتركت ذلك كله وانتقلت الى بيت آخر . . . بعيد . . . بعيد جداً ، ولا حديقة له !

ابراهيم عبد القادر المازني

الغرض من التربيـــة

في المدرسة الانجليزية (١)

للأستاذ محمد عطية الأبراشي

المفتش بوزارة المعارف

الغرض من التربية الانجليزية تهذيب الخلق وتربية الروح والعقل والجسم ، مع المحافظة على الاستقلال الشخصي لكل فرد من الأفراد . ولا يُقاس النجاح فى التعليم بانجلترا بمقدار مايعرف التلميذ من المواد الدراسية فحسب ، ولكنه يقاس كذلك بما يستطيع أن يفعله وبمقدار استعداده للعمل . فعلى هذه الأسس الثلاثة وهى : العلم ، والقدرة على العمل ، والاستعداد للعمل – يقاس النجاح فى التعليم بانجلترا . ومع أن عدد المتعطلين هناك قد بلغ نحو ثلاثة آلاف ألف عامل ، وعدد المتخرجين فى المدارس كل سنة يبلغ نحو ٢٥٠ ألف شاب لاتجد فرداً واحداً يقول : أغلقوا المدارس ، ولكنك تجد من يقول : أطيلوا مدة الدراسة ، وافتحوا موارد العلم لطلابه ، فبغير نور العلم لاتزدهر نهضة ، وبغير المدارس لاتعتز أمة . والحياة العملية مفتوحة أمام الجميع . وإذا ترك الطالب المدرسة وكان عالماً قادراً على العمل ، مستعداً لأن يعمل ، فلا خوف عليه فى هذه الحياة . وما المدرسة إلا عالم مصغر ، فالحياة المدرسية الانجليزية صورة من الحياة العالمية الخارجية ، تُعِدّ التلميذ للحياة الاجتماعية التى تنتظره ، فيخرج من المدرسة عالماً بشئون الحياة ، يحاول أن يعرف نفسه ، ويعرف العالم الذى يعيش فيه ، عاملاً بما علم ، مستعداً لأن يعمل أى عمل تصل إليه يده ، مبتدئاً الحياة من السلم الأول ، ويسير بالتدرج حتى يصل إلى ذروة العلا . يعيش الشاب فى عالم الحقيقة لا عالم الخيال ، ولا يضيره أن يظهر صغيراً فى عمله فى بدء الأمر ، بل يعمل ويثابر ، ويخطئ ويصيب ، ويجتهد حتى يصل إلى الكمال أو ما يقرب منه .

وإذا تمثلت الروح العسكرية فى التربية الألمانية ، وظهرت الروح التعاونية فى التربية الأمريكية ، فتربية الشخصية المستقلة تتمثل فى التربية الانجليزية .

وإن روح التعليم فى انجلترا مؤسسة على دراسة الطفل والتفكير فيه ، وفى شخصيته ومستواه ، وتقديمه على سواه ؛ أى مؤسسة على التضحية بكل شىء فى سبيل النهوض به . فالطفل هو مركز التعليم ، وهو النقطة الرئيسية التى يعنى الجميع بها ، وهو الذى يضحى من أجله بكل شىء . ولئن عنى الأسبرطيون قديماً بالقوة الجسمية والتربية العسكرية ، واهتم الأثينيون من اليونان القدماء بالفلسفة وتربية الذوق وحب الجمال ، وأولع الرومان فى غابر الأزمان بالخطابة والقوة الكلامية فلقد عني الأنجليز اليوم باعداد الطفل للحياة ، للقيام بواجبات الحياة .

وقد رأى أحد الانجليز ، ورأى فلاسفة اليونان من قبل ، أن العقل السليم فى الجسم السليم ، ولكن المربين من الانجليز يرون الآن أن يضيفوا إلى العقل السليم والجسم السليم : الخلق القويم ، والشعور بالواجب . فالمدرسة الانجليزية لا تفكر فى تعليم المواد فحسب ، بل تعمل على تربية العقل ، والجسم ، والخلق ، وتهذيب الادارة ، وتقوية الملاحظة لدى كل فرد ، وتعطيه الفرصة فى أن يستفيد من قوانين الطبيعة ، ويقدر ما فيها من فن أو جمال ، وتفهمه الحياة كما هى ، وتشعره بواجبه نحو غيره وواجبه نحو الله ونفسه وأمته ، وتعده للحياة الكاملة . فللمدرسة أثر كبير فى تكوين الطفل لا ينقص عن أثر المنزل والأصدقاء وتجارب الحياة .

وإن المدرسة الانجليزية تشعر بالواجب الملقى على عاتقها نحو التعليم ، ونحو تحسين الأحوال الاجتماعية والصحية والخلقية ، وتقوم به خير قيام . والمدرس الانجليزى فى انجلترا يستطيع بما له من نفوذ ، وباجتهاده فى أن يكون المثل الأعلى الذى يصح الاقتداء به – أن يبث فى نفوس التلاميذ أحسن العادات من الجد والمثابرة على العمل وأداء الواجب ، وكتمان الشعور ، وإجلال كل نبيل ، والاستعداد لتضحية النفس ، والعمل على الوصول إلى الحقيقة والشعور بالواجب والاستقامة . فالمدرس يعمل على تكوين أعضاء عاملين ينفعون المجتمع الذى يعيشون فيه بحيث تفخر بهم الأمة التى ينسبون إليها ؟

محمد عطية الابراشي

---

(١) مقتبس من كتاب « نظام التعليم فى انجلترا » تحت الطبع

الى الأستاذ توفيق الحكيم

سياحة فى نهر «الجنون»

هل هناك اقتباس ... ؟!

بقلم جورج وغريس

ليعذرني الأستاذ توفيق الحكيم إن أردت أن أقوم بسياحة قصيرة فى « نهر الجنون » ذلك النهر الرهيب الذى شاء الأستاذ أن يتدفق ماؤه من قطرات قلمه على صحائف إحدى عشرة من « مجلتى » الغراء فى العدد الرابع منها الصادر فى منتصف شهر يناير الماضى . والحق إنني لا أخشى أن أصاب بالجنون إن قمت بسياحة قصيرة فى ذلك النهر أو انتهلت جرعة من مائه ، فليس أحب الى نفسى من أن ترشف من فيض ذلك القلم العذب الذى يذكرنا بصاحب « أهل الكهف » و « شهر زاد » و « عودة الروح » ..

ونهر الجنون الذى خطر لى أن أكتب عنه هو عنوان لقصة تمثيلية طريفة من فصل واحد تناولها الأستاذ الحكيم فى حوار لطيف ، وتتلخص وقائع تلك القصة فى أنه فى قديم الزمان كان يجرى فى بلاد نائية نهر يشرب منه سكان تلك الجهة ، ففى إحدى الليالى نقمت الآلهة على ذلك النهر ، فأرسلت أفاعيها تهبط من السماء ثم تسكب سمومها فى مائه فاذا به فى لون الليل ، ويرى الملك كل ذلك فى رؤيا هائلة ، ويسمع من يهتف به : « حذار أن تشرب بعد الآن من نهر الجنون . . . » فيمتنع الملك هو ووزيره عن الشرب من ماء النهر ، ويكتفيان بنبيذ الكروم فاذا بهما فى تمام قواها العقلية . أما الملكة وسائر أفراد الشعب فانهم يتهافتون على الماء ويستقون منه فيصيب عقولهم مس من الجنون

فاذا كان أول هذا الفصل يظهر الملك منفرداً مع وزيره فى القصر ، ويتحادث معه فى تلك الرؤيا الهائلة التى رآها ، ويبدى جزعه الشديد أن تشرب الملكة مع الشاربين من النهر برغم تحذيره إياها فيصيبها الجنون كما أصاب جميع الناس الذين شربوا معها ، ثم يظهر حزنه العظيم على عقلها الراجح وذهنها اللامع فى سماء تلك المملكة ، ويتمني لو أن وزيره أمكنه أن يجد لها الدواء الناجع ، أو لو أنه استطاع أن يحضر لها رأس الأطباء ، فيخبره وزيره أن رأس الأطباء أيضاً قد أصابه الجنون ، فيسأله أن يأتى لها بكبير الكهان ، فيعلمه أنه أيضاً مجنون لأنه شرب مع الشاربين ، ولا يوجد فى المملكة من لم يشرب من ماء النهر سواهما ، فيحزن الملك لذلك أشد الحزن ، ويذهب مع وزيره الى معبد القصر يسألان السماء الغوث والرحمة . . .

يخرج الملك والوزير من باب فتدخل من باب آخر الملكة ورأس الأطباء وكبير الكهان ، ويبدو الجزع على وجوههم ، ويتحدثون عن الملك ووزيره اللذين أصيبا بالجنون لامتناعهم عن الشرب من النهر دون جميع الناس ، وتسأل الملكة رأس الأطباء وكبير الكهان أن يستخدما الطب ويستنزلا المعجزات لانقاذ الملك من هذا الجنون المفرط . فلما يظهر كل منهما عجزه عن رده الى صوابه تحزن الملكة لذلك أشد الحزن وتشير عليهما ألا يذيعا الخبر لأن المصيبة سوف تكون فادحة لو علم الناس أن الملك والوزير قد جُنّا . وتبكى الملكة زوجها الذى أصبح معتوها لا يذكر النهر إلا فى فزع ، ويزعم أن ماءه مسموم ولا يشرب إلا نبيذ الكروم ، وبينما هى تدير الرأى معهما تلمح الملك آتياً عن بعد ، فتطلب منهما أن يتركاها منفردة معه ، لعلها تستطيع أن تقنعه بأن يشرب من ماء النهر ، ثم يقبل عليها الملك ، فيتفرس كل منهما فى صاحبه وفى قلب كل منهما إشفاق على الآخر لما أصابه من الجنون ، فتسأله الملكة عن السر فى هذه النظرات العميقة ، فيجيبها أنه يسأل السماء أن تستجيب دعاءه ، فتفرح الملكة لهذه الرغبة فى الشفاء وتخبره أنها عثرت على الدواء المطلوب ، وأن هذا الدواء هو أن يشرب من ماء النهر ، فيغتم الملك ويعود الى حزنه ويأسه ، لأنه كان قد ظن أن الملكة قد اهتدت الى دواء لشفاء جنونها ، ويخرج صارخاً بوزيره أن ينجده . أما الوزير الذى كان فى خارج القصر فيدخل على الملك فى تلك اللحظة وهو يرتجف من الخوف ويخبره أن جميع الناس أصبحوا يعتقدون أن الملك ووزيره قد أصيبا بجنون ، أما هم فعقلاء ؛ فيدهش الملك لذلك أشد الدهش ويدور بينه وبين وزيره الحوار الآتى :

الملك : صه ! من قال هذا الهراء . . . . ؟

الوزير : تلك عقيدتهم الآن

الملك : (فى تهكم حزين) نحن المصابان وهم العقلاء . . . !
أيتها السماء رحماك ! إنهم لا يشعرون أنهم قد جنوا

الوزير : صدقت

الملك : يخيل إلى أن المجنون لا يشعر أنه مجنون

الوزير : هذا ما أرى

الملك : إن الملكة واحسرتاه كانت تحادثنى الآن وكأنها تعقل ماتقول ، بل لقد كانت تبدى لى الحزن وتسدى إلىّ النصح

الوزير : نعم نعم . . كذلك صنع بى كل من قابلت من رجال القصر وأهل المدينة

الملك : أيتها السماء رفقاً بهم !

الوزير : (فى تردد) وبنا . . ؟ !

الملك : (متسائلاً فى دهش) وبنا . . ؟ !

الوزير : مولاى . . إنى . . أريد أن أقول شيئاً

الملك : (فى خوف) تقول ماذا ؟

الوزير : إنى كدت أرى

الملك : (فى خوف) ترى ماذا ؟

الوزير : أنهم . . كل شئ

الملك : من هم ؟

الوزير : الناس المجانين . إنهم يرموننا بالجنون ويتهامسون علينا ويتآمرون بنا ، ومهما يكن من أمرهم وأمر عقلهم فان الغلبة لهم ، بل إنهم هم وحدهم الذين يملكون الفصل بين العقل والجنون . لأنهم هم البحر وما نحن الاثنان إلا حبتان من رمل . . أتسمع منى نصحاً يا مولاى . . ؟

الملك : أعرف ما تريد أن تقول

الوزير : نعم هلم نصنع مثلهم ونشرب من ماء النهر !

الملك : (ينظر إلى وجه الوزير ملياً) أيها المسكين ! إنك قد شربت . أرى شعاعاً من الجنون يلمع فى عينيك

الوزير : كلا لم أفعل بعد

الملك : أصدقنى القول

الوزير : (فى قوة) أصدقك القول انى سأشرب . وقد أزمعت أن أصير مجنوناً مثل بقية الناس : إنى أضيق ذرعاً بهذا العقل بينهم

الملك : تطفىء من رأسك نور العقل بيديك !

الوزير : نور العقل ! ماقيمة نور العقل فى وسط مملكة من المجانين ؟ ثق أنا لو أصررنا على ما نحن فيه لانأمن أن يثب علينا هؤلاء القوم . إنى لأرى فى عيونهم فتنة تضطرم ، وأرى أنهم لن يلبثوا حتى يصيحوا فى الطرقات « الملك والوزير قد جنّا . فلنخلع المجنونين »

الملك : ولكنا لسنا بمجنونين

الوزير : كيف نعلم ؟

الملك : ويحك . . . أتقول حقاً ؟

الوزير : إنك قد قلتها الساعة يامولاى : إن المجنون لايشعر أنه مجنون

الملك : (صائحاً) ولكنى عاقل وهؤلاء الناس مجانين !

الوزير : هم أيضاً يزعمون هذا الزعم

الملك : وأنت ألا تعتقد فى صحة عقلى ؟

الوزير : عقيدتى فيك وحدها ما نفعها ؟ إن شهادة مجنون لمجنون لا تغنى شيئاً

الملك : ولكنك تعرف أنى لم أشرب قط من ماء النهر

الوزير : أعرف

الملك : وأن الناس كلهم قد شربوا منه

الوزير : أعرف

الملك : وإنى قد سلمت من الجنون لأنى لم أشرب وأصيب الناس لأنهم شربوا

الوزير : هم يقولون إنهم إنما سلموا من الجنون لأنهم شربوا وأن الملك إنما جن لأنه لم يشرب

الملك : عجباً ! إنها لصفاقة وجه

الوزير : هذا قولهم وهم المصدقون . وأما أنت فلن تجد واحداً يصدقك

الملك : أهكذا يستطيعون أيضاً أن يجترئوا على الحق ؟

الوزير : الحق ؟ (يخفى ضحكه)

الملك : أتضحك ؟

الوزير : إن هذه الكلمة منا فى هذا الموقف غريبة

الملك : (فى رجفة) لماذا ؟

الوزير : الحق والعقـل والفضيلة كلمات أصبحت ملـكاً لهؤلاء الناس أيضاً . هم وحدهم أصحابها الآن

الملك : وأنا . . ؟

الوزير : أنت بمفردك لا تملك منها شيئاً

(الملك يطرق فى تفكير وصمت)

الملك : (يرفع رأسه أخيراً) صدقت إنى أرى حياتى لا يمكن أن تدوم على هذا النحو

الوزير : أجل يا مولاى . وإنه لمن الخير لك أن تعيش مع الملكة والناس فى تفاهم وصفاء ولو منحت عقلك من أجل هذا ثمناً

الملك : (فى تفكير) نعم إن فى هذا كل الخير لى . إن الجنون يعطيني رغد العيش مع الملكة والناس كما تقول . وأما العقل فماذا يعطيني . . ؟

الوزير : لا شىء . . . انه يجعلك منبوذاً من الجميع مجنوناً فى نظر الجميع

الملك : إذن فمن الجنون ألا أختار الجنون

الوزير : هذا عين ما أقول

الملك : بل إنه لمن العقل أن أوثر الجنون

الوزير : هذا لا ريب عندى فيه

الملك : ما الفرق إذن بين العقل والجنون

الوزير : (وقد بوغت) انتظر . . . (يفكر لحظة) لست أتبين فرقاً

الملك : (فى عجلة) على بكأس من ماء النهر

***

هذا مجمل القصة والجزء المهم من الحوار الذى دار بين الملك ووزيره ، وانتهيا منه بأن العقل لا يغنيهما شيئاً فى مملكة من المجانين ، لذلك آثرا أن يكونا منهم . وموضوع القصة ـ كما ترى ـ لطيف طريف ، وليس فى هذا مجال لشك أو موضع لغرابة ، ولكن مما استرعى نظرى أننى كنت أقرأ بدايتها قراءة الشاعر بما سيحدث فى نهايتها ، فما أتيت على آخرها حتى ظللت أفكر فيمن سمعت أو قرأت عنه تلك القصة حتى هدانى التفكير إلى كتاب « المجنون » للمرحوم جبران خليل جبران فعثرت فيه على قصة قصيرة تحت عنوان « الملك الحكيم » وقبل أن أقول عنها شيئاً أورد نصها فيما يلى :

« كان فى إحدى المدن النائية ملك جبار حكيم ، وكان مخوفاً لجبروته محبوباً لحكمته ـ وكان فى وسط تلك المدينة بئر ماء نقى عذب يشرب منه جميع سكان المدينة من الملك وأعوانه فمادون ، لأنه لم يكن فى المدينة سواه . وفيما الناس نيام فى إحدى الليالى جاءت ساحرة إلى المدينة خلسة ، وألقت فى البئر سبع نقط من سائل غريب ، وقالت : « كل من يشرب من هذا الماء فيما بعد يصير مجنوناً »

وفى الصباح التالى شرب كل سكان المدينة من ماء البئر وجنّوا على نحو ما قالت الساحرة ، ولكن الملك والوزير لم يشربا من ذلك الماء

وعندما بلغ الخبر آذان المدينة طاف سكانها من حى إلى حى ، ومن زقاق إلى زقاق ، وهم يتسارّون قائلين « قد جُنّ ملكنا ووزيره . إن ملكنا ووزيره قد أضاعا رشدهما . إننا نأبى أن يملك علينا مليك مجنون . هيا بنا نخلعه عن عرشه ! »

وفى ذلك المساء سمع الملك بما جرى ، فأمر على الفور بأن يملأ حق ذهبى (كان قد ورثه عن أجداده) من مياه البئر . فملأوه فى الحال وأحضروه إليه . فأخذه الملك بيده وأداره إلى فمه . وبعد أن ارتوى من مائه دفعه إلى وزيره فأتى الوزير على ثمالته

فعرف سكان المدينة بذلك وفرحوا فرحاً عظيماً جداً ، لأن ملكهم ووزيره ثابا إلى رشدهما »

فما رأى القارىء اللبيب فى هذا . . . ؟ وما رأى الأستاذ الفاضل فيما كتب . . . ؟ أليس هناك تشابه تام بين القصتين فى الفكرة والمعنى والأشخاص بل وفى بعض الألفاظ . . . . ؟

انى مع احترامى الشديد وتقديرى العظيم للكاتب الفنان ، أرى فى ذلك أحد أمرين : إما أن تكون الفكرة مأخوذة مما كتبه المرحوم جبران خليل جبران ، وليس فى هذا حرج ، ولكن كان الأجدر بالكاتب فى هذه الحالة أن يذكر اسم المؤلف الذى أخذ عنه تلك الفكرة ، وله بعد ذلك الفضل فى تقريبها إلى الأذهان بصوغها فى قالبه الخاص الرائع ، وفى تحويرها من حكاية قصصية إلى قصة تمثيلية

وإما أن يكون ذلك من قبيل توارد الخواطر وتشابه الأفكار بين كاتبين مختلفين فى زمنين متقاربين ، وليس فى هذا أيضاً من حرج . . . ولكن دعنى ألا أعتقد به هنا قبل أن تأتينى بجرعة من ماء ذلك النهر فى حق من ذهب أو إناء من خزف ؟!

اسكندرية — جورج وغريس

(الرسالة) هناك فرض ثالث وهو أن يكون مصدر الكاتبين واحداً

الشيخ الخالدى

مجلس آخر من مجالسه

للدكتور عبد الوهاب عزام

كتبت فى عدد من الرسالة ما سمعته من الشيخ الخالدى فى أحد مجالسه بحلوان . واليوم أنشر حديثاً آخر حدث به فى مجلس بالروضة :

جمعنى والشيخ الجليل مجلس فى دار الأستاذ عبد الحميد العبادى ليلة الإثنين الثالث والعشرين من رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف ، فلما اطمأن بنا المجلس قلت : قد سمعنا حديث شيخنا العلامة عن المدارس فى المشرق إبان مجد المسلمين ، فهل له أن يتم الحديث بذكر مدارس مصر والمغرب

قال : بقى من مدارس المشرق مدارس الأناطول ، ومنها مدرسة آلتون باى التى بناها السلاجقة فى قونية ، وبقيت معمورة الى زمن الحرب الكبرى . وقد طلب العلم بها السيد الشريف الجرجانى والفنارى (وهذا من ذرية سيدنا عمر . وسيف الدين الآمدى عربى من بنى ثعلبة إخوة بنى يربوع) . وفيها مدرسة قره طاى كبير فى قونية ، ولا تزال آثارها قائمة وهى من بناء السلاجقة أيضاً ، وقد درس فيها جلال الدين الرومى ، وفى بروسة مدرسة السلطان مراد الأول ومدرسة السلطان محمد جلبى . ومن علمائها الخيالى وخواجه زاده الذى كتب « تهافت الفلاسفة » يتوسط فيه بين الغزالى وابن رشد ؛ ومن علمائها كذلك ملاخسرو وحسن جلبى . وله حاشية على كتاب المطول فى البلاغة

ومن مدارس حلب المدرسة الحلوية وكان يقرأ فيها الكاشانى صاحب كتاب البدائع فى الفقه ، وكان يفتى هو وامرأته ، لا يخرج الفتوى حتى تعرض عليها . ثم المدرسة المستنصرية فى بغداد فى غنى عن التعريف

ومن مدارس مصر المدرسة الكاملية التى بناها الملك الكامل الأيوبى . ومدرسة صلاح الدين ، بناها للامام نجم الدين الخبوشانى قرب مسجد الامام الشافعى . والخبوشانى منسوب إلى خبوشان إحدى قرى نيسابور . وقد دفن بجانب الامام الشافعى واندثر قبره . والمدرسة الصالحية التى أسسها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكانت لمذاهب الفقه الأربعة ، والمدرسة الشيخونية . وكل هذه المدارس كانت صغيرة القدر بالقياس إلى جامع عمرو الذى كان مباءة العلوم الاسلامية منذ الفتح الاسلامى إلى القرن التاسع . وقد رأيت بالآستانة كتباً قديمة قرئت بجامع عمرو وعليها سماعات العلماء إلى سنة ٧٠٠ و سنة ٨٠٠ والشاطبى إمام القراء درس بهذا الجامع . ومن دور العلم فى القاهرة خانقاه سعيد السعداء بالجمالية ، وكان ينزل بها كبار العلماء ، وممن نزل بها القطب الشيرازى والشريف الجرجانى ، ومبارك شاه المنطقى ، وقطب الدين الرازى . ويؤسفنى أن وزارة الأوقاف لا تعنى بها عناية تكافئ مكانتها فى التاريخ الاسلامى : ومن مدارس القاهرة مدرسة المؤيد

وأما الأزهر فقد صار من دور العلم الكبيرة بعد سنة تسعمائة ، وعلماؤه الذين ذكرهم الجبرتى متأخرون وأقدمهم الشيخ خالد الأزهرى . وأما ابن هشام وابن عقيل فلم يتعلما فيه

وكان فى الاسكندرية دار الحديث ، ومدرسة الحافظ السلفى ، وكان ينزل بها العلماء الوافدون من المغرب ، ومدرسة الامام الطرطوشى مؤلف سراج الملوك .

ودور العلم فى المغرب كانت جامع القيروان ؛ قرأ فيه أصحاب الامام مالك وأئمة مذهبه ومنهم سحنون ، وابن عمر ، وابن الحداد ، وسحنون الصغير ، وابن اللبّاد ، والامام اللخمى أحد محررى مذهب مالك ، وعبد الحميد الملقب بمالك الصغير ، وهو شيخ المازرى ، وغير هؤلاء ممن ذكروا فى كتاب معالم الايمان فى تاريخ القيروان لابن ناجية ، وهو شارح الرسالة التى ألفها عبد الله ابن أبى زيد صاحب كتاب النوادر ، وهذا الكتاب واحد وعشرون مجلداً فى مكتبة أياصوفيا ، وبعض مجلداته فى مكتبة القرويين بفاس

وجامع الزيتونة بتونس ، وهو قديم عمره بنيد الأغلب سنة ١٤٥ . ومن علمائه المازرى شارح صحيح مسلم ، وشارح التلقين للقاضى عبد الوهاب وهو عشر مجلدات كبار . ولا تزال اسطوانته معروفة فى الجامع ، وابن عبد السلام ، وابن عرفة ، وابن خلدون ، وابن راشد القفصى وهو أعلمهم ، والوانشريسى صاحب كتاب المعيار ، والأبى شارح صحيح مسلم (وشرح المازرى الذى ذكرته آنفاً اسمه المعلم فى شرح صحيح مسلم ، وكتاب الأبى

اسمه متمم المعلم ، وللقاضي عياض شرح اسمه إكمال المعلم) ، ويحيى بن خلدون أخو عبد الرحمن بن خلدون المعروف ، وأبو الحسن الشاذلي ، وله أسطوانة في الجامع معروفة . ومن دور العلم بجاية وتلمسان ، وكان بها مدرسة السلطان أبي الحسن المريني ، ومدينة سبتة ، وقد ألف فيها القاضي عياض كتاب العيون الستة في أخبار سبتة . وهو كتاب يشهد بكثرة العلماء الذين نبغوا فيها .

ومن دور العلم العظيمة جامع القرويين بفاس أسسه مولاى إدريس الأصغر . وهو يضاهي جامع القيروان في سعته ، وواجهته مركبة على ٢٠٠ أسطوانة بين كل اثنتين خمس خطوات

وقد ألف في تاريخ علماء فاس كتابان : الأول جذوة الاقتباس فيمن حل من العلماء بفاس ، وهو لابن القاضي الفشتالي (نسبة إلى فشتالة على نهر ورغة) ، والثاني جذوة الأنفاس فيمن أقبر من العلماء بفاس ، وهو للشريف الكتاني من المعاصرين ومن مدارس المغرب مدرسة يوسف بن تاشفين في مراكش

وكانت مدن العلم في الأندلس ، قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، ومرسية ، وبلنسية ، وشاطبة ، وسرقسطة ، وغرناطة ، في الزمن الأخير

وكان أهل الأندلس يحفظون دواوين شعراء الجاهلية بالرواية والإسناد كالحديث النبوي ، وقد جاء في تاريخ قرطبة « كانت قرطبة في الدولة الأسلامية قبة الأسلام ، ومجتمع علماء الأنام والأعلام . بها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية . وإليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء . » وقد بلغ من تشددهم في الرواية أن أبا علي القالي جاء الى الأندلس ومعه كتاب سماع في اللغة ، فاستعاره الخليفة (لا أدري أكان الخليفة الناصر أم ابنه المستنصر ؟) وأبقاه عنده زماناً فلما أرجعه أبطل القالي العمل به في الرواية . لأن الكتاب خرج من يده زمناً طويلاً . قرأت هذه الحكاية في كتاب « الألماع في أصول السماع » للقاضي عياض . رأيت نسخة من هذا الكتاب في الأستانة (أيا صوفيا) وأخرى في الشام ، وللقاضي عياض (الشارحة) في الحديث . أعجب به ابن الصلاح فقال :

مشارق أنوار تجلت بسبتة ... وذا عجب كون المشارق بالغرب

مشارق أنوار طلعن بمغرب ... أرين جميع الشرق بالطالع الغربي

فلله ما أبدى عياض فأشرقت ... مشارقه في كل قطر بلا غرب

ومن أجل عناية أهل الأندلس برواية الشعر نبغوا في اللغة . وحسبك ابن سيده صاحب المخصص والمحكم ، وقد رأيت الجلد الأول من المحكم بخط الجواليقي . اهـ

هذا ما اقتبسته من حديث شيخنا الخالدي في هذا المجلس ، أفاض فيه دون أن يرجع إلى كتاب أو ورقة . وكم من مجالس للشيخ العلامة لم تدون . ولو كتبت أحاديثه ونشرت معها كتبه ونتفه في تاريخ العلم والعلماء لاستفاد المسلمون علماً وأسماً ، وظفروا بما فقدوه من تاريخ أسلافهم . ولعلنا نسعد بكتابة بعض مجالسه . والله ولي التيسير

عبد الوهاب عزام

من تراثنا العلمي

تعبير الرُّؤْيا لابْنِ قُتَيْبَة

وصف وتلخيص لنسخة ثمينة من كتاب مفقود

للأستاذ علي الطنطاوي

يزاول ابن قتيبة في هذا الكتاب بأسلوبه المتين، وطريقته السوية، بحثاً هو اليوم جديد في اللغات الأوربية، لم يكد يعرفه أصحابها قبل فرويد النمساوي وأصحابه: يونغ السويسري، وادلر الألماني، وبودوان الفرنسي، ورفرز الانجليزي، وهو يتفق وهؤلاء الباحثين في كثير من مسائل هذا البحث، وإنما يختلف عنهم في أنه استمد من معين النبوة، فأصاب كبد الحقيقة، وتمكن من سواء الثغرة. واتكلوا على ظنونهم، فحاموا حول الورد، وصدروا من غير ري!

والكتاب كما سترى في وصفه من الكتب الجليلة التي نرجو أن يتيح الله لها ناشراً، وهذه النسخة التي نصفها من مخطوطات (المكتبة العربية) العامرة (بدمشق)

أما تعبير الرؤيا فقد ثبت في الدين، ونطقت به السنة، وتواترت به الأخبار: أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي عن سَمُرَةَ بن جُندب، أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون السابقون، وبينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض، فوضع في يديّ سواران من ذهب، فكبرا عليّ وأهماني، فأوحى إليّ أن انفخهما، فنفختهما فطارا. فأوّلتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء (أي الأسود) وصاحب اليمامة (أي مسيلمة)

والأخبار في ذلك مستفيضة.

وأما ابن قتيبة، فهو الإمام العَلَم. صاحب التصانيف الجليلة: أدب الكاتب، وعيون الأخبار، وطبقات الشعراء، والميسر والقداح، والمعارف (١) وغيرها...

قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص «هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة» وقال الحافظ السيوطي في البغية: «كان ابن قتيبة رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة ديّناً فاضلاً» وقال القاضي ابن خلكان: «وكان فاضلاً ثقة وتصانيفه كلها مفيدة» وقال الخطيب البغدادي: «كان ثقة ديناً فاضلاً» وقال الحافظ الذهبي: «ما علمت أحداً اتهمه في نقله» وقال ابن النديم: «كان صادقاً فيما يرويه، عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه، والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف، توفي ابن قتيبة سنة (٢٧٦) وله (٦٣) سنة.

أما كتابه تعبير الرؤيا فقد ذكره ابن النديم في الفهرست في باب الكتب المؤلفة في تعبير الرؤيا، وسماه تعبير الرؤيا. وذكره أبو الطيب اللغوي في كتابه (مراتب النحويين) (٢) كما نقل الأستاذ محب الدين الخطيب في مقدمة (الميسر والقداح)

وذكره في كتاب (فهرست مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف الشيخ أبو بكر بن خير ابن عمر بن خليفة الأموي الأشبيلي (طبع سرقسطة سنة ١٨٩٣) باسم (عبارة الرؤيا) قال:

كتاب عبارة الرؤيا لابن قتيبة؛ حدثني به أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر رحمه الله، عن أبي علي الغساني، قال: حدثني به أبو العاصي حكم بن محمد الجذامي، عن أبي بكر أحمد بن محمد ابن اسماعيل المهندس. عن أحمد بن مروان المالكي عن ابن قتيبة

ثم ذكر لروايته طريقاً أخرى، والنسخة التي نصفها مروية من طريق أقصر وتلتقي برواية أبي بكر هذا عند أحمد بن مروان المالكي، وهذا مما يثبت صحة نسبة هـــذه النسخة لابن قتيبة رحمه الله

---

(١) ذكر الأستاذ المحقق محب الدين الخطيب في مقدمة (الميسر والقداح) أن في الخزانة الظاهرية كتاباً باسم تاريخ ابن قتيبة (تحت رقم ٨٠ تاريخ) وأن صاحب كشف الظنون أشار إليه، وتابعته في ذلك دار الكتب في مقدمة (عيون الأخبار) وقد أخبرني صديق الشاعر الأديب السيد أحمد عبيد، أن الكتاب الذي في الخزانة الظاهرية هو كتاب (المعارف) ذاته

(٢) قال: وهو من نفائس مخطوطات الخزانة التيمورية وهو فيها (تحت رقم ١٤٢٥ تاريخ)

وقال الزمخشرى فى (الفائق) فى مادة (جنه) وهو يفسر بيت الفرزدق [1]

فى كفه جنهى ريحه عبق
من كف أروع فى عرنينه شمم

قال القتبى (يعنى ابن قتيبة) الجنهى ، الخيزران . ومعرفتى بهذه الكلمة عجيبة ، وذلك أن رجلاً من أصحاب الغريب سألنى عنه (الجنهى) فلم أعرفه . فلما أخذت من الليل مضجعى أتانى آت فى المنام ، فقال لى : ألا أخبرته عن الجنهى ؟ قلت : لم أعرفه قال : هو الخيزُران ! فسألته شاهداً ، فقال : « هدية طرفته ، فى طبق مجنّه » فهببت وأنا أكثر التعجب ، فلم ألبث إلا يسيراً ، حتى سمعت من ينشد : فى كفه جنهى .... وكنت أعرفه : فى كفه خيزران . .

قال فى (تاج العروس) فى تفسير الجنهى :

هو الخيزران رواه الجوهرى ، عن القتيبى قال (يعنى ابن قتيبة) وسمعت من ينشد : فى كفه جنهى . . .

والقصة التى رواها الزمخشرى مروية فى الورقة الخامسة عشرة من المخطوط الذى نصفه ، وهذا مما يثبت صحة نسبته إلى ابن قتيبة ، ومما يثبت هـذه النسبة أسلوب الكتاب ، فانه لا يكاد يختلف عن الأسلوب الذى نعرفه لابن قتيبة ، فى تحقيقه اللغوى وتفسيره الغريب ، وإكثاره من الشواهد

أما هذه النسخة فتقع فى (١٣٤) صفحة من القطع الصغير فى كل صفحة (١٥) سطراً ، وهى مكتوبة بخط نسخى جميل ، على ورق صقيل ، ويزيد عمرها على (٥٠٠) سنة

فى الصفحة الأولى منها ، اسم الكتاب :

كتاب عبارة الرؤيا تصنيف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوَرى رضى الله عنه

وفيها كتابات أخرى ، أكثرها ممحوّ :

من مواهب ذى الكرم على عبده رجب الأعلم اشتريته من سى يحيى الذهبى وقيل فى المعانى :

ونكس الرأس أهل الكيميا خجلاً
وقطروا أدمعاً من بعد ماسهروا
إن طالعوا كتبه بالدرس بينهم
صاروا ملوكاً وإن هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع
— فتى منهم قد غرّه القمر

ونو — الشمسى خادم — الفقير — لسنة ١٢٠٩ — من شهر ذى الحجة من تركة الشيخ عمر بن عبد الهادى رحمه الله

وفى الصفحة الأخيرة ، هـذه العبارة مكتوبة بخط الناسخ :

« آخر كتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة رضى الله عنه ، قابلناها على نسخة الأصل بقدر الامكان :

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد فقد وقع الفراغ من كتابة هذه النسخة الشريفة الموسومة بكتاب عبارة الرؤيا على يد العبـد الضعيف النحيف الراجى إلى رحمة الله البارى يحيى بن محمد البخارى فى عشرين من ذى القعدة سـنة خمس وأربعين وثمانمائة بدمشق المحروسة صانها الله تعالى عن الآفات والنكبات ، اللهم اغفر لكاتبه ولمن نظر فيه آمين يا رب العالمين »

وفيها أسماء بعض المالكين :

دخل هذا الكتاب فى نوبة العبد الفقير رجب الأعلم المجاور بمدرسة العمرية عفى عنه آمين

الحمد لله مالكه من فضل ربه الهادى ، الشيخ عبد الرزاق الهادى غفر الله له آمين ، كتبه الفقير ابنه محمد

ساقها الرب الهادى ، إلى محمد الهادى

والنسخة مشكولة ولكنه شكل لا يعتد به ، وليس فى هوامشها تعليقات تذكر

* * *

رواية الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

كتاب تعبير الرؤيا تصنيف أبى محمد عبد الله بن محمد بن مسلم ابن قتيبة

قرأت على الشيخ الصالح أبى الحسن عبد الباقى بن فارس بن أحمد المقرى المعروف بابن أبى الفتح المصرى ، أخبركم أبو حفص عمر بن محمد بن عراك الحضرمى قراءة عليه ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن مروان قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، قال :

مقدمة الكتاب :

الحمد لله الذى رفع منار الحق ، وأوضح سبيل الهدى ، وقطع

(١) المشهور أنه للفرزدق ويقول كثير من المحققين أنه للحزين الليثى الشاعر . راجع الأغانى

عذر الجاحدين ، بما أشهدنا من صنعته الظاهرة ، وآياته الباهرة وأعلامه الدالة عليه ، وآثاره المؤدية إليه . في كل ماثل للعيون . من فلك دائر ، وكوكب سائر ، وجبال راسيات ، وبحار طاميات ورياح جاريات ، وفلك في البحر مسخرات بأمره الخ . . .

(قال) حدثني محمد بن عبيد ، عن . . عن . . عن أم كرز الكعبية قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات(١) وحدثني محمد بن زياد عن . . عن . . عن عروة أنه قال في قوله الله عز وجل : « لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ » قال : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له(٢)

(قال أبو محمد) وليس فيما يتعاطى الناس من فنون العلم ، ويمارسون من صنوف الحكم ، شيء هو أغمض وألطف ، وأجل وأشرف ، وأصعب مراداً وأشكالاً ، من الرؤيا ، لأنها جنس من الوحي ، وضرب من النبوة الخ . . . ولأن كل علم يطلب فأصوله لا تختلف ، ومقاييسه لا تتغير ، والطريق إليه قاصد ، والسبب الدال عليه واحد ، خلا التأويل : فان الرؤيا تتغير عن أصولها باختلاف أحوال الناس في هيئاتهم ، وصناعاتهم وأقدارهم ، وأديانهم ، وهممهم ، وإراداتهم . وباختلاف الأوقات والأزمان فهي مرة مثل مضروب يُعتبر بالمثل والنظير ، ومرة مثل مضروب يعبّر بالضد والخلاف ، ومرة تنصرف عن الرائي لها إلى الشقيق أو النظير أو الرئيس ، ومرة تكون أضغاثاً

ولأن كل عالم بفن من العلوم ، يستغني بآلة ذلك العلم لعلمه ، خلا عابر الرؤيا : فانه يحتاج إلى أن يكون عالماً بكتاب الله عز وجل وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ليتمبّرهما في التأويل . وبأمثال العرب ، والأبيات النادرة ، واشتقاق اللغة ، والألفاظ المبتذلة عند العوام ، وأن يكون مع ذلك أديباً لطيفاً ذكياً ، عارفاً بهيئات الناس وشمائلهم وأقدارهم وأحوالهم ، عالماً بالقياس حافظاً ، ولن تغني عنه معرفة الأصول ، إلا أن يمده الله بتوفيق ، يسدد حكمه للحق ، ولسانه للصواب ، وأن يحضره الله تعالى تسديده ، حتى يكون طيب الطعمة ، نقياً من الفواحش ، طاهراً من الذنوب ، فاذا كان كذلك ، أفرغ الله عليه من التوفيق ذَنوباً ، فجعل له من مواريث الأنبياء نصيباً

وسأخبرك عن كيفية الرؤيا ، بالاستدلال على ذلك من كتاب الله والحديث ، إذ كنت لم أجد فيه مقالاً كافياً لأمام متبع ، وأقدم قبل ذلك ذكر النفس والروح ، إذ كنت لا تصل إلى علم كيفيتها إلا بمعرفتهما ، وفرق ما بينهما . وعلى الله أتوكل فيما أحاول وأستعين

(إلى أن قال) وقد اختلف الناس في النفس والروح ، فقال بعضهم ، هما شيء واحد يسمى باسمين ، كما يقال ، إنسان ورجل ، وهما الدم أو متصلان بالدم ، يبطلان بذهابه ، والدليل على ذلك ، أن الميت لا يُفقد من جسمه إلا دمه ، واحتجوا لذلك أيضاً من اللغة : بقول العرب : نُفِست المرأة (إذا حاضت) ونَفِست (من النفاس) وبقولهم للمرأة ، عند ولادتها : نُفَساء ، لسيلان النفس وهو الدم . وبقول ابراهيم النخعي : كل شيء ليست له نفس سائلة لا ينجس الماء ـ الخ . . .

البقية في العدد القادم

علي الطنطاوي

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ : لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة .

(٢) قال في تيسير الوصول في حديث المبشرات المتقدم : رواه مالك عن عطاء مرسلا وزاد ، الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له .

١٢ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

ـ أو ليس البواسل من الرجال يحملون الموت ، لأنهم يخشون ما هو أعظم من الموت شراً ؟

ـ هذا صحيح

ـ إذن فكل الناس ما خلا الفلاسفة شجعان ، إلا أنها شجاعة من الخوف والوجل . وإنه لعجيب ولا شك أن يكون الرجل شجاعاً لأنه مذعور جبان !

ـ صحيح جداً

ـ أو ليس هذا بعينه شأن المعتدلين ؟ إنهم معتدلون لأنهم مفرطون ـ قد يبدو ذلك متناقضاً ، ولكنه مع ذلك هو ما يحدث في هذا الاعتدال الأحمق ـ فهناك من اللذائذ ما يحرصون على تحصيلها ويخشون ضياعها ، فهم لذلك يتعففون عن نوع من اللذات لأن نوعاً آخر قد استولى عليهم ، وإذا عُرِّف التفريط بأنه : « الخضوع لسلطان اللذة » فانهم لا يقهرون لذة ، إلا لأن لذة تقهرهم ، وذلك ما أعنيه بقولي إنهم معتدلون لأنهم مفرطون

ـ يظهر أن ذلك حق

ـ ومع ذلك ، فليس من الفضيلة استبدال خوف أو لذة أو ألم بخوف آخر أو لذة أو ألم ، وهي متساوية كلها ، أكبرها بأصغرها ، تساوي النقد بالنقد . أي عزيزي سمياس ، أليس في النقد قطعة واحدة صحيحة هي التي ينبغي أن تستبدل بالأشياء جميعاً ؟ ـ وتلك هي الحكمة ، ولن يشرى شيء بحق أو يباع ، شجاعة كان أم عفة أم عدلاً ، إلا إن كان للحكمة ملازماً ، وإلا إن كانت هذه الحكمة له بديلاً . ثم أليست الفضيلة الحق بأسرها رفيقة الحكمة ، بغض النظر عما قد يكتنفها أو لا يكتنفها من المخاوف واللذائذ أو ما إليهما من الخيرات أو الشرور ؟ إلا أن الفضيلة التي يكون قوامها هذه الخيرات التي تأخذ في استبدال بعضها ببعض بعد أن تكون قد انفصلت عن الحكمة ، ليست من الفضيلة إلا ظلها ، ولا يكون فيها من الحرية أو العافية أو الحقيقة شيء ، أما التبادل الحق فيقتضي أن تمحى هذه الأشياء محواً ، وما ظهورها إلا العدل والشجاعة والحكمة نفسها . وإني لأتصور أن أولئك الذين أنشأوا الأسرار ، لم يكونوا مجرد عابثين ، بل قصدوا إلى الجد حينما عمدوا إلى شكل فرمزوا به إلى أن من يمضي إلى العالم الأسفل دنساً جاهلاً سيعيش في حمأة من الوحل ، أما ذلك الذي يصل إلى العالم الآخر بعد التعليم والتطهير فسيقيم مع الآلهة . وكما يقولون في الأسرار : « كثيرون هم من يحملون عصا السحر ، أما العالمون بالسحر فقليل » [1] وهم يريدون بهذه العبارة فيما أرى ، الفلاسفة الحق ، الذين أنفقتُ حياتي كلها أبحث بينهم لعلي أجد مكاناً ، ولست أشك في أنني عند ما أبلغ العالم الآخر ، بعد حين قصير ، سيأتيني إن شاء الله علم يقين ، عما إذا كنت قد التمست في البحث سبيلاً قويمة أم لا ، وإن كنت قد أصبت التوفيق أم لم أصبه . أي سمياس وسيبيس ، لقد أجبت بهذا على أولئك الذين يؤاخذونني بعدم الحزن أو الجزع لفراقكم وفراق سادتي في هذا العالم ، فقد أصبت بعدم الخوف لأنني أعتقد أنني سأجد في العالم الأسفل أصدقاء وسادة آخرين ، يعدلونكم خيراً ، ولكن الناس جميعاً لا يسيغون هذا ، وإنه ليسرني أن تصادف كلماتي عندكم قبولاً أكثر مما صادفت عند قضاة الأثينيين

ـ أجاب سيبيس ـ اني موافقك يا سقراط على معظم ما تقول ، ولكن الناس أميل إلى عدم التصديق فيما يتصل بالروح . إنهم يخشون ألا يكون لها مستقر إذا ما فصلت عن الجسد ، وإنها قد تذوي وتزول في يوم الموت ذاته ـ فلا تكاد تتحلل من الجسد حتى تنطلق كالدخان أو الهواء ، ثم تتلاشى في العدم . فلو قد تستطيع أن تتماسك أجزاؤها ، وأن تظل كما هي بعد أن تكون قد خلصت من شرور الجسد ، لرجونا يا سقراط ، محقين فيما نرجو ، أن ما تقوله حق ، ولكنا بحاجة الى كثير من الأقناع ووفير من

---

(١) يريد سقراط بهذا القول كله أن الفيلسوف يفهم الخير والشر خلافاً لما يفهمه منهما سائر الناس ، فعامة الناس لا يقفون مواقف الشجاعة إلا حينما يتهددهم خطر أعظم مما هم فيه ، فان أقدموا مثلا على الموت فلأنهم يخشون العار أو الهزيمة أو ما إليهما مما يعتبر شراً من الموت ؛ كذلك من يزعمون في أنفسهم العفة ، لا يمتنعون عن لذة إلا لأنهم يطمعون في أكبر منها . أما الفيلسوف الحق فيحتقر هذه الموازنة بين اللذة والألم ، ولا يعترف بفضيلة إلا إن كانت ملازمة للحكمة ؛ وكل الفضائل بما فيها الحكمة نفسها إن هي في نظر الفيلسوف إلا طهور للنفس من أدرانها ؛ وذلك ما عناه مؤلفو الأسرار حينما قالو : كثيرون هم من يحملون عصا السحر ولكن العالمين بالسحر قليل

الحجج ، لاثبات أنه إذا مات الانسان فروحه تظل مع ذلك موجودة ، وتكون على شيء من قوة الذكاء

– فقال سقراط – هـذا حق يا سيبيس ، فهل لى أن أقترح حديثاً قصيراً عما يحتمل لهذه الأشياء من وجوه ؟

– قال سيبيس – لست أشك فى أنى شديد الرغبة فى معرفة رأيك عنها

– فقال سقراط – لا أحسب أن لأحـد ممن سمعنى الآن ، حتى ولو كان أحد أعدائى القدماء من الشعراء الهازلين ، أن يتهمنى بالخبط فى الحديث عن موضوعات لا شأن لى فيها . فأذنوا إن شئتم بأن نمضى فى البحث

إن مشكلة أرواح الناس بعد الموت : أهى موجودة فى العالم الأسفل أم غير موجودة ، يمكن مناقشتها على هذا النحو : يُؤكّدُ المذهب القديم الذى كنت أتحدث عنه ، أنها تذهب من هذا العالم إلى العالم الآخر ، ثم تعود إلى هنا حيث تولد من الميت ، فان صح هذا وكان الحى يخرج من الميت ، للزم أن تكون أرواحنا فى العـالم الآخر ، لأنها إن لم تـكن ، فكيف يمكن لهـا أن تولد ثانياً ؟ إن هـذا القول حاسم ، لو كان ثمت شاهد حقيق على أن الحى لا يولد إلا من الميت ، أما اذا لم ينهض على هـــذا دليل ، فلا بد من سوق أدلة أخرى

فأجاب سيبيس – هذا جد صحيح

– إذن فدعنا نبحث هـذه المسألة ، لا بالنسبة إلى الانسان وحده ، بل بالنسبة إلى الحيوان عامة ، وإلى النبات ، وكل شيء يكون فيه التوالد ، وبذلك تسهل إقامة الدليل . أليست كل الأشياء التى لها أضداد تتولد من أضدادها ؟ أعنى الأشياء التى كالخيّر والشرير ، والعادل والجائر – وهناك من الأضداد الأخرى التى تتولد من أضدادها ، عدد ليس إلى حصره من سبيل ، وإنما أريد أن أبرهن على أن صحة هذا القول شاملة لما فى الكون من أضداد ، أعنى مثلاً أن أى شيء يكبر ، لا بد أنه قد كان أصغر قبل أن أصبح أكبر

– صحيح

– وأن أى شيء يصغر ، لا بد أنه قد كان يوماً أكبر ثم صار أصغر

– نعم

– وأن الأضعف يتولد من الأقوى والأسرع من الأبطأ

– جد صحيح

– والأسوأ من الأحسن ، والأعدل من الأظلم ؟

– بالطبع

– وهل هذا صحيح عن الأضداد كلها ؟ وهل نحن مقتنعون بأن جميع الأضداد ناشئة من أضداد ؟

– نعم

– ثم أليس ثمت كذلك فى هذا التضاد الشامل بين الأشياء جميعاً ، فعلان أوسطان ، لا ينفكان يسيران من ضد الى الضد الآخر جيئة وذهاباً ؛ فحيث يوجد أكبر وأصغر ، يوجد كذلك فعل متوسط بينهما ، يعمل للزيادة والنقصان ، ويقال للشيء الذى ينمو إنه يزيد ، وللشيء الذى يتناقص إنه يذوى

فقال – نعم

– وهناك غير ذلك عمليات كثيرة أخرى ، كالتجزئة والتكوين والتبريد والتسخين ، التى تتضمن تساوياً بين ما يخرج من شيء وما يضاف الى شيء آخر . أليس ذلك صحيحاً بالنسبة الى الاضداد كلها ، حتى ولو لم يعبر عنها باللفظ دائماً – فهى تتولد الواحد من الآخر ، وثمت انتقال ، أو فعل ، بين بعضها وبعض

– فأجاب – هذا جد صحيح

– جميل ، أفليس هناك ضد للحياة ، كما أن النوم ضد اليقظة ؟

– فقال – بل هذا حق

– وما هو ذاك ؟

– فأجاب – هو الموت

– فان كان هذان ضـدين ، فهما متولدان إذن أحدهما من الآخر ، وبينهما كذلك فعلان أوسطان ؟

– بالطبع

(يتبع) زكى نجيب محمود

صور من التاريخ الإسلامي

الفردوسي

للأستاذ عبد الحميد العبادي

تتمـــة

بينت في مقالي السابق السبب الذي من أجله يكبر الفرس الفردوسي ويعدونه شاعرهم القومي فقلت إن الفردوسي بنظمه « كتاب الملوك » الذي يضم بين دفتيه تاريخ الفرس الأقدمين وأساطيرهم وآدابهم ، قد أمد القومية الفارسية واللغة الفارسية الحديثة ، بمدد قوي ، رسم للأولى حدوداً واضحة ، وشرع للثانية منهجاً ظلت تسير فيه حتى يومنا هذا . والفردوسي بهذا الصنيع الجليل قد هيأ السبيل لظهور فارس الحديثة ذات الشخصية البارزة في تاريخ الشرق الحديث

ولكن ما السبب في أن شعوباً أخرى غير الفرس تحفل بالفردوسي وتجله ، ولم تتحاش أن تعلن ذلك بالاحتفال بذكراه الألفية ؟ وجواب هذا السؤال موضوع هذا المقال

* * *

يعد الفردوسي عند علماء الأدب ونقاده شاعراً قصصياً من شعراء الطبقة الأولى ، فهو في مرتبة هوميروس ودانتي وملتن . والشاعر القصصي العظيم هو الذي ينشيء ملحمة أي منظومة قصصية طويلة بليغة يعتبرها قومه غرة أدبهم . وحظ هـــذه المنظومة من الذيوع والانتشار يتوقف على نوع موضوعها . فاذا كان الشاعر قد اخترع الموضوع اختراعاً وتخيله تخيلاً ثم أفرغ عليه بعـد ذلك ثوب بلاغته وقوة تصوره فهي ملحمة محدودة الذيوع ، يقبل على قراءتها خاصة الأدباء والمثقفين وأساتذة الأدب في الجامعات . ومن هذا الصنف «المهزلة» لدانتي و« الجنة المفقودة » لملتن . أما إذا ألف الشاعر موضوعه من الحكايات الشائعة في قومه ، وأساطيرهم التي يعتقدونها ، وأغانيهم التي يتغنون فيها بذكر ما اختلف عليهم من الأحداث ، ثم عرض ذلك كله عرضاً شعرياً قوياً بليغاً ، وكان في ذلك فيلسوف النظرة يتناول العام من ثنايا الخاص فيصور العالم وهو يصور قطعة منه محدودة ، ويصف الطبيعة البشرية وهو يصف قبيله ومعشره ، ويتناول الزمن وهو يتناول برهة منه ، إذا فعل الشاعر ذلك فقد كتب لملحمته الذيوع والخلود . وسرعان ما يحل الحديث المونق المحكم محل القديم المبعثر المتفرق ، فتنسخ الملحمة الجديدة الحكايات القديمة ، وتأخذ مكانها من قلوب الأمة التي تصور فعالها ، وعلى مر الزمن تنفذ الملحمة من حدود المحلية والأقليمية وتشيع في أنحاء العالم المتمدين وتستحيل أثراً أدبياً عالمياً . وأشهر ملاحم هذا النوع ، الألياذة والشاهنامة التي نحن بصدد الكلام عليها

والشاهنامة تسترعي اهتمام غير واحـد من خاصة المتأدبين ، فاللغوي يطالع فيها صفحة واضحة من تاريخ اللغة الفارسية الحديثة ، والاجتماعي يجد فيهـا عوناً على تصور المجتمع الفارسي القديم ، ومعرفة أخلاق القوم وعاداتهم ومواضعاتهم ، والمعني بالأساطير القديمة ينتفع بها انتفاعاً جماً في دراسة الميثولوجيا الايرانية والمقارنة ، ومؤرخ الأديان يستخلص منها صورة مجملة لعقائد الايرانيين القدماء ، والمؤرخ السياسي يرجع إليهـا في دراسة النظم الفارسية القديمة ويجد فيها صدى قوياً لعلاقة الفرس بمن جاورهم من الأمم وخاصة الهند والترك والعرب . والفنان الذي تستهويه بلاغة العبارة ودقة المعاني وقوة التصوير يرى في الشاهنامة مُثلاً عليا لكل ذلك . فالفردوسي يعرج في سماء البلاغة حتى يسامي النجم ، وهو في الوقت نفسه يخاطب الناس بمألوف حديثهم ومتعارف معانيهم ، ثم هو وصاف مبدع ، إذا تصدى لوصف واقعة حربية أراك ميدان القتال ، وجلا على عينك ما يجرى فيـه من كرّ وفر ، وهجوم وتحيز ، وأراك السيوف تلمع ، والحراب تشرع ، وأسمعك تصايح الكماة ، وصهيل الخيل ، وأنين الجرحى ، وصور لك ظفر الغالب وهزيمة المغلوب . فاذا انتقل إلى وصف مجلس من مجالس الدعة والأنس مثـل لعينك أسباب السرور ودواعيه وأدواته ، ونقل إليك ما يشيع في المجلس من صفاء النفوس ، واختلاط القلوب ، فاذا أراد تصوير العاطفة البشرية أراك حنو الأم ، وعطف الأب ، ووله العاشق ، ووفاء الزوجة وإخلاص الصديق . لقد أدرك الفردوسي قوام الفن وملاكه ، أدرك معنى الجميل ومعنى الجليل ، وعرف كيف يعبر عنهما

* * *

على أن الناحية الأخلاقية من الشاهنامة هي عندي أهم نواحيها وأبينها على التقدير العام بها . فالفردوسي لم يقصد إلى أن يكون مؤرخاً ، ولا إلى اظهار بلاغته بمقدارما قصد إلى أن يكون كتابه كتاب أدب وحكمة وتهذيب ، نلحظ ذلك في الجانب التعليمي من كتابه ، فالفردوسي لا يبرح واعظاً ومرشداً وهادياً ، سالكا حينا طريق الحقيقة وحينا طريق المجاز ، ونلحظ ذلك القصد أيضاً في خلو الشاهنامة خلواً مطلقاً من الألفاظ والمعاني التي ينبو عنها الأدب والذوق السليم . . بهذه المزية يصح القول بأن « كتاب الملوك » كتاب يتأدب بمطالعته الناس في كل زمان وكل مكان ، وإذا كانت « الألياذة » تنمي فينا عاطفة الحياء والغضب للحق ، وفضيلة الأيثار والانتصار للضعيف ، وإذا كانت « مهزلة » دانتي تعرفنا بطريقتها الرمزية أي أساليب الحياة يؤدي في الآخرة إلى الثواب وأيها يؤدي إلى العقاب ، وإذا كانت « الجنة المفقودة » تقوي الروح الديني في نفس القارىء ، فان الشاهنامة ترمي إلى تهذيب النفس وتكميلها

وفلسفة الشاهنامة الأخلاقية تقوم على أربعة أمور عظام : الأيمان ، والواجب ، وطهارة القلب ، والزهد

والأيمان عند الفردوسي ليس ذلك الشعور الذي يخالط ضعفاء النفوس وخورة الطباع ، ولكنه إيمان الأبطال والملوك . فالفردوسي يتعمد أن يظهر أبطاله وملوكه عند استكمالهم أسباب العزة والجبروت في مظهر النقص والافتقار إلى عون الله ومدده مبالغة منه في توكيد ضرورة الايمان في الحياة ، ورغبة منه في كبح جماح النفوس الطاغية ، وكسر شرة القلوب العاتية . ولنمثل لذلك من الشاهنامة نفسها : فعند ماخرج الملك (كيخسرو) إلى قتال (أفراسياب) انتقاماً لمقتل ابنه (سيا وخسر) جعل يدعو الله أن ينصره على عدوه . تقول الشاهنامة[1] « وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبداً لهم ، وجعل طول ليلته يتضرع إلى الله تعالى ويبتهل ويعفر خده بالتراب ويستنصره على أفراسياب ، ويستعين به عليه ، فقطع ليلته تلك بالسجود لله تعالى والدعاء ، فلما انتصر على خصمه وفر خصمه من وجهه وأعياه طلابه رجع إلى الله يستعينه ويستهديه » . تقول الشاهنامة « فاغتسل ذات ليلة وأخذ كتاب الزند وخلا بنفسه في مكان خال ولم يزل طول ليلته ساجداً لله تعالى يبكي ويتضرع اليه سبحانه ويقول (إن هذا العبد الضعيف الموجع الجسم والروح طاف الدنيا ، فسلك رمالها وقفارها ، وقطع جبالها وبحارها ، طالباً لأفراسياب الذي أنت تعلم أنه سالك غير طريق السداد ، وسافك بغير الحق دماء العباد ، وأنت تعلم أني لا أقدر عليه إلا بحولك وقوتك ، فمكني منه . وإن كنت عنه راضياً ، وأنت تعلم ولا أعلم ، فاصرفني عنه ، وأطفىء من قلبي ثائرة عداوته وقف بي على سواء الطريق والنهج القويم) وعند ماغمر الثلج أسفنديار وأصحابه في طريق (هفنجوار) الوعر الشاق ووجد ذلك البطل المغوار نفسه أمام قوة لا قبل له بها لم يسعه إلا أن يسلم أمره إلى الله تعالى فتقول الشاهنامة « فبينا هم كذلك إذ أظلم الجو واشتدت الريح ، ونشأت سحابة أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليها ، تهيل عليهم الثلج هيلاً ، حتى امتلأت الأودية ، فصاح اسفنديار . . . وقال : قد اشتد علينا الأمر وليس ينفعنا الآن رجولة ولا قوة . والرأى أن نلجأ إلى من لا ملجأ منه إلا اليه ، فانه الكاشف للضر والقادر عليه . فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرعوا إلى الله تعالى مبتهلين ، ودعوه دعوة الصادقين ، فسكت الهواء وانجلت السماء»

* * *

والأصل الثاني من أصول الفلسفة الأدبية «لكتاب الملوك» القيام بالواجب ؛ والشاهنامة تعنى بهذا الأصل الذي هو قوام الحياة اليومية أتم عناية . فأعظم ملوك الشاهنامة أقومهم بواجبه ، وواجب الملك في رعيته العدل ، والحلم ، والسخاء ، وترك الاستبداد فاذا ما حاد الملك عن هذا السنن « جفت الألبان في الضروع ، ولم يأرج المسك في النوافج ، وشاع الزنا والربا في الخلق ، وصارت القلوب قاسية كالحجر الصلد ، وعاثت الذئاب وضريت بالأنس ، وتخوف ذوو العقول من ذوي الغواية والجهل ، » وعهد كسرى أنو شروان لابنه هرمز حافل بتلك الآداب السلطانية التي تنص صراحة على ما يجب على الملك نحو نفسه ونحو رعيته

وبطولة أبطال الشاهنامة تستند إلى شعورهم القوي بالواجب . أنظر كيف لبى رستم طلب (جيو) إنقاذ ابنه (بيژن) وكان مقيداً مغلولاً في مطمورة مظلمة بأرض طوران . وقوله له (لا تهتم

(١) انظر الترجمة العربية للشاهنامة

فانى لا أحط السرج عن الرخش حتى آخذ بيد بيثرن وأضعها فى يدك) وانظر خطاب جيو للملك كيخسرو (أيها الملك ! إن أمى ما ولدتنى إلا لطاعتك ، وتحمل المكاره فيما هو سبب راحتك . وهأنذا أشد وسطى فى امتثال أمرك ، ولا أسلك إلا سبيل خدمتك ولو أمطر الهواء على ناراً ، وتحولت الأشفار فى عينى شفاراً) وقول (اكشهم) لبيثرن وهو يجود بروحه (أيها الحبيب النافع لا تحمل على نفسك كل هذا ، فانه أشد على مما أنا فيه . واستر جراح رأسى بالترك ، واجتهد فى حملى الى حضرة الملك ، فان قصارى بغيتى ، وغاية أمنيتى ، أن أتزود منه بنظرة ، وأقر عينى بطلعته ولو لحظة ، واذا مت بعد ذلك مت وليس فى قلبى حسرة ، فانى لم أولد الا للموت ، ومن أدرك أمله فكأنه لم يمت ، وأيضاً تجتهد فلملك تستطيع أن تحمل هذين العدوين اللذين أهلكهما الله على يدى إلى المعسكر ، وان لم تقدر فاحمل رءوسهما وعدتهما حتى تعرضها على الملك ، ليعلم أنى ما هلكت فى غير شئ)

وروعة شخصية المرأة فى الشاهنامة تقوم على وفور حظها من الأنوثة والوفاء لزوجها ، يدل على ذلك نواح (تهمينة) على ابنها (سهراب) ووفاء (منيژة) لزوجها (بيثرن) فى محنته مع ان أباها كان المسلط على عذابه

وكما تفرض الشاهنامة القيام بالواجب من حيث هو فضيلة أساسية للحياة الفاضلة فانها تدل بالأمثلة المحسوسة والوقائع المادية كيف يؤدى الواجب . فينبغى أن نؤدى الواجب محلى بأحسن آداب السلوك من جد ورفق ، وسهولة خلق ، وضبط نفس ، ورقة شمائل ، ولا أدل على ذلك من الحوار الذى دار بين بطلى الشاهنامة (رستم) و (أسفنديار) عند ما لج بهما اللجاج وحمى الخصام ، فهو حوار ينم عن نبل خلق وسراوة نفس . وقد بلغ من دقة حس الفردوسى ورقة قلبه أن أوجب علينا الوفاء لمن أحسن الينا ولو كان حيواناً أعجم . أنظر بأى قلب وأية شمائل يخاطب رستم الغزالة التى كان طرده لها سبباً فى وقوعه على عين ماء روى منها بعد أن كاد يهلك عطشاً ، فهو يخاطبها بقوله : (لازلت يا غزالة الريف ، تفيئين الى الظل الوريف ، وتكرعين فى الزلال المعين ، وتتقلبين بين الورد والياسمين ، وأيما قوس راعك أنباضه ، فلا زالت متقطعة أوتاره ، فانك سددت رمقى وشفيت غلتى »

* * *

والأصل الثالث من أصول فلسفة الشاهنامة الأدبية طهارة القلب ؛ والفردوسى يحثنا فى غير موضع من كتابه على أن ننقى عن قلوبنا أدواء الحقد والحسد والضغينة . يقول رستم لاسفنديار : « . . . . وطهر قلبك بفضيلة الرجولة من دنس الداء الدفين » والفردوسى لا يكتفى بأن ينـدب قارئه الى تطهير قلبه ، بل لقد يتولى هو بنفسه ذلك مستخدماً فى ذلك طريقة العرض الدرامى التى نلحظها فى أكبر الملاحم والقصص . نلحظها فى آثار هوميروس ، وسفوكليس ، واسخيلوس ، وشكسبير ، وملتن ، ودستويفسكى . وذلك أن يعمد الشاعر الى حادث رائع مفظع ، فيعرضه عرضاً فنياً قوياً ، فيهز بذلك قلب القارىء ويمخضه ، فيكون ذلك منه بمنزلة الدواء المر يتجرعه المريض على مضض ، ولـكنه تكون فيه سلامته من علته ؛ وقد بلغ الفردوسى بسلوك هذه الطريقة أسمى غايات الفن ، وأتى من رائع القصص مايشغف القلب حسنه ، ويسحر اللب بيانه . انظر كيف يعرض قصة قتل رستم ابنه سهراب على غير علم منه بأنه ابنه ! تقول الشاهنامة : « ... ثم تناوشا الحرب ، وتطاعنا حتى انتثرت كعوب رماحهما ، فاستل كل واحد منهما سيفه ، وتضـاربا ، وكأن النار تمطر من سيوفهما ، ولم يزالا حتى تكسرت سيوفهما ، فمدا أيديهما الى عموديهما ، ورفعاها ، وجملا يتضاربان ويتقارعان حتى تمزقت الأدراع الموضونة على أكتافهما ، وتقطعت التجافيف على خيلهما ، فضعفا ، ووقفت دوابهما ، وبقيا من العرق غريقين ، ومن العطش محترقين ، فوقف الأب من جانب ، والابن من جانب آخر ، ينظر أحدهما الى الآخر . فيا عجبا ! كيف انسدت دونهما أبواب التعارف ، ولم تتحرك بينهما عروق التناسب ؟ والأبل من غلظ أكبادها ، تعطف على أولادها ، والطيور فى جو السماء ، والحيتان فى قعر المـاء ، لاتنكر أولادها وأفراخها ! والانسان من فرط حرصه تخفى عليه فلذة كبده ويستنكر قرة عينه ولا ينزع الى ولده ! »

ثم يقول رستم : «لم أر قط قتالاً بهذه الصفة ، ولقد انقطع رجائى من رجولتى » فاذا ما اسـتأنفا القتال ، قال سهراب لرستم وهو يجهل أنه أبوه : «إنى أرى أن نخلع الجوشن ، ونطرح

السيف ، ونكف عن القتال ، فان قلبي يميل كل الميل اليك ، وإن وجهي ليغمره الحياء منك » ولكن يخيب رجاؤه ، ويعود الأب وابنه الى المبارزة ، فيتغلب الأب ويصرع ابنه ، ويجثم على صدره ، ثم يذبحه ذبحاً ، ثم يتبين له ، وقد سبق السيف العزل ، أنه إنما ذبح ابنه ، فيشق جيبه ، ويضرب صدره ، وينتف شعره ، ويندب ولده ، ويحاول استنقاذه من براثن الموت فيعجزه ذلك ؛ ويموت سهراب ، فتتقد لوعة الحزن فى صدر رستم ، ويصيح من فرط العذاب : « من الذى أصيب بمثل ما به أصبت ؟ ومن الذى فجع بمثل ما به فجعت ؟ قتلت ولدى حين شاب رأسى وانقضى عمرى ! »

إن القارىء ليتابع مشاهد هذه القصة وقلبه يتوثب فى صدره فرقا وذعراً . فاذا بلغ الى الكارثة الأخيرة فقد لا يملك دمعه أسى وحزناً ، وهذا الذى قصد اليه الشاعر رغبة منه فى أن يمكن فيه لعاطفتى الحنو والرحمة

ولا يقف الفردوسى عند هذا الحد من تطهير قلب قارئه ، بل يجتهد فى أن يروض من نفسه ويكبح من جماحها بأن يجلو لها تقلب هذه الدنيا ، وتصرف أحوالها بالناس تصرفاً قد يسوء ضعاف النفوس ، ولكنه لا ينال من ذوى النفوس القوية منالاً وهو على عادته يعمد الى أقوى شخصياته فيجعلها مناط فلسفته رامياً بذلك الى أن نأخذ الدنيا كما هى فنفرح بها إذا أقبلت فى غير اغترار بها ؛ ولا نأسى عليها إذا هى أدبرت . وإن فلسفته من هذه الناحية لترجح فلسفة الرواقيين الذين يدعوننا على أن نتجرد من العاطفة جملة ، فلا نفرح ولا نحزن ، ولا نغضب ولا نعتب . انظر كيف يصف الشاعر مصير الملك أفراسياب عندما قلب الزمان له ظهر المجن ، وتجهم له وجه القدر ، فآل أمره الى أن وقع أسيراً فى يد رجل عابد فشد وثاقه واضطره الى أن يخاطبه بقوله « أيها العابد ! ماتريد من رجل اختفى فى مغارة ضيقة » فلما عنفه العابد على ما احتقب من أوزار قال « بهذا جرت على أقلام قضاء الله فى الأزل ، ومن المعصوم فى هذه الدنيا الغدارة من الزلل ؟ » وإن مصير الملك دارا واغتيال عبديه له تقرباً بدمه الى الاسكندر ليجرى مجرى حديث أفراسياب من حيث الدلالة على تقلب الدنيا ، وهى ترينا الفردوسى جبرياً يرى أن الانسان لا يملك لنفسه مع القدر نفعاً ولا ضراً

* * *

وإذا كان ذلك دأب الدنيا ، فخليق بالعاقل أن يرفضها ويزهد فيها . والزهد فى الدنيا هو الأصل الرابع من أصول فلسفة الشاهنامة الأخلاقية ، والفردوسى لا يألو جهداً فى صرف قلوبنا عن أن تفتتن بالدنيا ولكن فى غير اخلال بالواجب الذى يفرضه علينا وجودنا فيها . انظر إلى تصويره الحال المعنوية للملك كيخسرو عندما انقبضت نفسه ، وأزمع التخلى عن الملك ، والذهاب فى الأرض ، فقد عهد إلى ابنه ، وودع أكابر الدولة « ثم سار . . . . وصحبه رءوس الأيرانيين . . . . إلى أن صعد إلى جبل ، فأقاموا عليه أسبوعاً ، وخرج فى أثره نساء الأيرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس ، يبكون ويضجون حتى طن بصياحهم وعويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان وقال : إن أمامنا طريقاً صعباً لا ماء فيه ولا عشب ، فانصرف دستان ، ورستم وجوذرد ، ولم ينصرف عنه الباقون ، فسار الملك ، وساروا معه حتى وصلوا إلى ماء ، فنزلوا هناك ، وقال لهم الملك : اذا طلعت الشمس غداً حان وقت المفارقة ، فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان الثلث الأخير من الليل ، قام الملك ودخل العين ، واغتسل ثم ودعهم وقال : « إن الثلج غداً يسد عليكم الطريق فلا تهتدون إلى الرجوع إلى إيران ، ولما طلعت الشمس ركب الملك ، وغاب عن أعينهم »

وحديث الاسكندر الملك الشاب الفاتح الطموح مع أهل مدينة البراهمة المنقطعين عن الدنيا ، والراضين منها بأيسر أمرها يرى إلى أى حد يذهب الفردوسى فى تقرير فلسفته القائمة على العزوف عن الدنيا وعدم الركون إليها .

* * *

وبعد ، فأرجو أن أكون قد بينت للقارىء السبب فى تقدير غير الفرس للفردوسى وللشاهنامة ، وأختم هذا البحث بأن أنبه على أن مظهر هذا التقدير قديم ، فقد ترجم الفتح بن على البندارى الشاهنامة إلى العربية الفصحى فى أوائل القرن السابع الهجرى (١) ، وأن الشاهنامة قد نقلت إلى أشهر اللغات الأوربية الحديثة ، وأن بعض هذه التراجم فى غاية الدقة والعناية والأتقان ؟

عبد الحميد العبادى

(١) وقد نشر زميلى الدكتور عزام هذه الترجمة نشراً علمياً متقناً

١٠ ـ بين القاهرة وطوس

طهران الى قم واصبهان

للدكتور عبد الوهاب عزام

أوى الركب الى الفندق متعباً ، وجمعتُ التعب والمرض ، وكان وزير المعارف والعلامة بديع الزمان قد كلمانى والأستاذ العبادى فى إلقاء محاضرة فى مدرسة سبهسلار بعد الاياب من مشهد ، فعدنا الى طهران وإذا رقاع الدعوة قد أرسلت ، وإذا الجرائد تخبر بأنى سألقى محاضرة فى مدرسة سبهسلار والساعة ست من يوم الخميس . فأصبحت فى شغل من هذا الأمر أجهد للوفاء بالوعد ، فاذا جسم عليل وصوت مبحوح ، فكلمت الأستاذ بديع الزمان معتذراً ، فجاء الى الفندق هو ورئيس المدرسة وطلبا من الأستاذ العبادى أن يقول كلمة ، فوعدهما ، ووعدتهما أن أكون طوع أمرهما إن رزقت العافية ، وإلا أرسلت كلمة تقرأ على الحاضرين(١) فلما دنا الموعد أجاب الأستاذ العبادى الدعوة ، وأرسلت كلمتى مع السيد صالح الشهرستانى مكاتب البلاغ فى طهران ، فقرأها على الجمع ، وكان موضوعها موقف المسلمين من مدنية أوربا ، وما يلزمهم من الاستمساك بسنتهم ، وأخذ الحذر أن يفتتنوا فيقلدوا فيضلوا . وتكلم الأستاذ العبادى فى العلائق التاريخية بين مصر وإيران ، وقد قرأت فى الجرائد الايرانية بعد العودة الى مصر وصف الاحتفال وترجمة الكلمتين ، وخطبة الأستاذ بديع الزمان فى مكانة اللغة العربية بين الفرس . وقد نشرت جريدة البلاغ الخطب الثلاث ، كما نشرت بياناً وافياً عن حفلات الفردوسى كلها

وكان فى خطة وفود الفردوسى الذهاب الى أطلال مدينة الرى وهى على مقربة من طهران ، فتخلفت مكرها أسفاً ، ويوم الجمعة جلنا فى المدينة ، فاشترينا من الكتب والاسطوانات (والايرانيون يسمونها الصفحات . وهى تسمية أقرب الى الحقيقة واللغة) وزرنا المفوضية المصرية مودعين ثم خرجنا الى دار على أصغر خان المعروف فى طهران باسم المصرى ، وهو أخو حسن بك اليزدى التاجر الكبير بالقاهرة ، وكان يحتفل بختان أنجاله ، فجلسنا فى جماعة من الفضلاء ، واستمعنا للمرة الثانية الى غناء المطربة ملوك خانم ، واقترحت أن تسمعنا الأغنية المطربة : «مرغ سحر ناله سر كن» لنودع طهران على هذه النغمات الحزينة ، ثم تحدثت المغنية ، فاذا هى تعرف أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وتدلى برأيها بينهما ، فقلنا هذا كلام ملوك . قالت نعم . وكلام الملوك ملوك الكلام . فانظر كيف يعنى الايرانيون نساء ورجالاً باللغة العربية عناية آبائهم من قبل . ثم استأذنا فى القيام لنأخذ أهبتنا للسفر الباكر صباح الغد

برحنا طهران والساعة عشر من صباح السبت حادى عشر رجب (٢٠ اكتوبر) أنا والأستاذ العبادى فى سيارة مفردة ، وهو أول سفر لنا فى إيران منفصلين عن وفود الفردوسى ؛ سافر جماعة من طريق الشمال ، وآخرون أخذوا طريق بغداد أدراجهم ، وجماعة آثروا المقام فى طهران يوماً أو يومين ، وكانت نيتنا اصبهان ، وبينها وبين طهران تسع ساعات بالسيارة ، وقد تقدمنا بمدة يسيرة الشاعر الانكليزى درينك ووتر

وقفنا بعد أربعين دقيقة على قرية ، فرئيت جوازات السفر ، وكذلك طلبت الجوازات فى كل مدينة مررنا بها ، حين ندخلها وحين نخرج منها حتى رجعنا إلى همذان على طريقنا الأولى من بغداد إلى طهران . وذلك أن هذه الطريق كانت طريق الوفود فى ذهابهم وإيابهم فيُسر لهم السير وأعفوا من مراسم السفر فى إيران

وبعد الظهر بقليل نزلنا فى محطة على الطريق اسمها منظرية فدخلنا بستاناً فيه أشجار رمان فأكلنا واسترحنا ساعة ، ثم سرنا حتى بلغنا مدينة قمّ والساعة اثنتان وثلث . فدخلنا ونحن نذكر قصة الصاحب بن عباد وقاضى قم . كتب إليه الصاحب

أيها القاضى بقم   قد عزلناك فقم

فكان القاضى يقول إذا سئل عن سبب عزله : أنا معزول

(١) لما بلغت بالكتابة هذا الموضوع دق التليفون ، فقلت من ؟ قال : السندباد — والسندباد اسم سميت به السائح المسلم الهمام محمود بشير المغربى الذى صحبنا فى أسفارنا بإيران ، وتخلف عنا فى طهران — فقلت : أهلا وسهلا بالسندباد البرى ؛ فقال : والبحرى والهوائى . وأحسب السندباد سيطوف العالم قبل أن أنتهى من كتابة رحلتى بين القاهرة وطوس

السجع من غير جُـرم ولا سبب

قم مدينة فى العراق العجمى على الجادة بين طهران واصبهان وعلى ١٢٠ كيلاً إلى الجنوب الغربى من طهران . يشقها نهر يأتى من جُربا ذقان قرب همذان . وفاكهتها كثيرة منها الرمان والتين والبطيخ والفستق

قال ياقوت : « وهى مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم بها ، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعرى » وذلك فى عهد الحجاج بن يوسف . والظاهر أنها قديمة كانت قبل الاسلام ، ثم عمرت فى الاسلام ومصرت

وقد قال دعبل بن على فيها :

تلاشى أهل قم واضمحلوا ... تحل المخزيات بحيث حلوا
وكانوا شيدوا فى الفقر مجداً ... فلما جاءت الأموال ملّوا

ظلت بقمّ مطيتى يعتادها ... همان : غربتها وبعد المدلجَ
مابين علج قدتعرب فانتمى ... أو بين آخر معرب مستعلج

وأهلها عرفوا بالتشدد فى التشيع قبل أن يعم التشيع إيران ؛ وقد روى ياقوت فى ذلك حكاية ظريفة قال :

«ومن ظريف مايحكى أنه ولّى عليهم وال ، وكان سنيا متشدداً ، فبلغه عنهم أنهم لبغضهم الصحابة الكرام لايوجد فيهم من اسمه أبو بكر قط ولا عمر . فجمعهم يوماً وقال لرؤسائهم : بلغنى أنكم تبغضون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكم لبغضكم إياهم لاتسمون أولادكم بأسمائهم . وأنا أقسم بالله العظيم لئن لم تجيئونى برجل منكم اسمه أبو بكر أو عمر ، ويثبت عندى أنه اسمه لأفعلن بكم ولأصنعنّ . فاستمهلوه ثلاثة أيام ، وفتشوا مدينتهم واجتهدوا فلم يروا إلارجلاً صعلوكاً حافياًعارياً أحول ، أقبح خلق الله منظرا ، اسمه أبوبكر لأن أباه كان غريباً استوطنها فسماه بذلك ، فجاءوا به فشتمهم وقال : جئتمونى بأقبح خلق الله تتنادرون علىّ وأمر بصفعهم : فقال له بعض ظرفائهم : أيها الأمير اصنع ماشئت فان هواء قمّ لا يجيء منه مَن اسمه أبو بكر أحسن صورة من هذا . فغلبه الضحك وعفا عنهم . »

وقمّ تلى المشهد الرضوى بين مزارات الشيعة فى إيران ، بها حرم السيدة فاطمة بنت موسى الكاظم وأخت على الرضا ، ولذلك دفن فيها كثير من العلماء والصالحين والملوك . وقد روى الشيعة فيها عن جعفر الصادق : ألا إن لله حرماً وهو مكة . ألا إن لرسول الله حرماً وهو المدينة . ألا إن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، ألا إن حرمى وحرم ولدى من بعدى قم . ألا إن قم الكوفة الصغيرة . ألا إن للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم « تقضى فيها امرأة هى من ولدى واسمها فاطمة بنت موسى . ويدخل بشفاعتها شيعتى الجنة بأجمعهم . » اه

لما اقتربنا من المدينة رأينا قبة المعصومة أخت الرضا تبصّ فى الهواء فى حلتها الذهبية . ولما دخلنا المدينة وقفنا على مخفر الشرطة فرأوا جوازات السفر . وقال سائق السيارة لشرطى ، هذان من المستشرقين يريدان زيارة الحرم فصحبهما . فسار الشرطى أمامنا فى رحبة تملؤها أنقاض دور مهدّمة ، وبصرنا بنهر صغير سريع الجرية . قال الشرطى : طغا الماء على المدينة منذ أشهر فخرب مئات من دورها . ثم عبرنا الماء على خشبات ممدودة عليه فرأينا ماء ضحضاحاً يخوض فيه الناس والدواب . وسرنا فى شارع به دكاكين وفنادق صغيرة ، فانتهينا إلى باب المسجد . رأينا صحناً رحباً ينتهى إلى بناء عال مقبّب . ولقينا شيخ فتقدمنا فدخلنا إلى مرقد السيدة فاطمة ، وهو ضريح كبير عليه سياج من الفضة كثير الحلى . فوقف الشيخ يدعو بالعربية دعاء طويلاً ذكر فيه الأئمة العلويين . ثم ملنا ذات اليسار إلى حجرة بها قبر كبير مربع لاسياج له ولا زينة ، قال هذا قبر الشاه عباس ، ثم ولجنا باباً إلى حجرة أخرى بها قبران أحدهما للشاه حسين آخر الصفويين ، والآخر للشاه طهماسب ، فيما أذكر ، فهؤلاء ثلاثة من الملوك الصفويين دفنوا فى جوار المعصومة . ثم خرجنا إلى الصحن فرأينا حجرات فيها قبور لملوك القاجاريين وبنيهم . رأينا فيها قبر محمد قاجار وفتحعلى شاه وعليهما صفيحتان من المرمر الشفاف عليهما صور ملائكة ذات أجنحة ، وعلى قبر فتحعلى صورته منحوتة فى المرمر . وقد رأينا من قبل فى النجف الأشرف فى مسجد الامام على قبرا آخر للقاجاريين على هذه الشاكلة . ولست أعرف فى القبور الاسلامية قبوراً عليها صور غير هذه القبور . وسرنا الى يسار الداخل إلى الصحن فاذا باب يفضى الى صحن آخر فسيح : وهذا المسجد معهد للدراسة الدينية يقيم به الطلاب

قال الشرطى وهو يحدثنا : فى قم أربعة وأربعون وأربعمائة وأربعة آلاف من بنى الأئمة الطاهرين قتلهم الظالمون

ركبنا السيارة والساعة ثلاث وعشر نسير صوب الجنوب نؤم أصبهان

وفى المقال الآتى حديث اصفهان الرائعة الجميلة

(يتبع) عبد الوهاب عزام

استدراك :

١ — نسيت أن أذكر فى حديثى عن مدينة المشهد أنى زرت فيها قبر الشيخ الكبير بهاء الدين العاملى الهمدانى أحد أعلام المسلمين فى القرن الحادى عشر وصاحب المؤلفات الكثيرة فى التفسير والحديث والعلوم العربية والفلك والحساب . دخل مصر وألف بها كتاب الكشكول وقال فيها :

يا مصر سقيالك من جنة قطوفها يانعة دانيه
ترابها كالتبر فى لطفه وماؤها كالفضة الصافيه الخ

توفى بأصفهان سنة إحدى وثلاثين وألف ، ونقل إلى المشهد فدفن بها فى داره . وقبره اليوم فى حجرة فى السوق قريبة من أحد أبواب مسجد الامام الرضا

٢ — كان طبيب قافلتنا فى الذهاب من طهران إلى المشهد والاياب ، الطبيب الحاذق نجم آبادى ، وقد عنى بى وبغيرى ممن توعكوا فى السفر . فكان حقاً علىّ أن أذكره بالثناء ، وقد جاء إلىّ ونحن بنيسابور عند قبر الخيام فقال : اكتب لى فى دفترى تذكاراً . فكتبت :

قد عرانى على الطريق سقام ولنعم الطبيب نجم آبادى
قد نعمنا بخُلقه ودواه وشكرنا له جميل الأيادى

عزام

صورة شتوية

الى بائعة شوك ...

للأستاذ أنور شاؤل

أَلْبَرْدُ يَلْذَعُ وَجْنَتَيْكِ وَسَاعِدَيْكِ الْعَارِيَيْنْ
وَالْحَقْلُ أَقْفَرُ لَا رَفِيقَ يُزِيلُ عَنْكِ الْغُمَّتَيْنْ
إِلاَّ الطُّيُورَ مُرَفْرِفَاتٍ حُوَّماً فى الْجَانِبَيْنْ
لَوْ تَسْتَطِيعُ بِمِنْقَرٍ دَفَعَتْ أَذَاكِ وَمِخْلَبَيْنْ
وَحَمَتْ حِمَاكِ بِمُقْلَتَيْنْ

الزَّمْهَرِيرُ هُوَ الْأَلِيفُ يَهُبُّ لَا رِيحُ الصَّبَا
وَخَزَائِنُهُ فَوْقَ السُّهُولِ وَفَوْقَ هَامَاتِ الرُّبَى
تَنْسَابُ فى بُرْدِ الضُّحَى أَفْعًى وَتَلْسَعُ عَقْرَبَا
رِفْقاً بِحُسْنِكِ يَا صَبِيَّةُ وَاحْذَرِى أَنْ يَنْضَبَا
رِفْقاً مُخَضَّبَةَ الْيَدَيْنْ

إِنْ كَانَ ظَهْرُكِ خَاضِعاً لِعَنَاءِ مَا حَمَّلْتِهِ
أَوْ كَانَ عُنْقُكِ طَائِعاً رَهْناً بِمَا كَبَّلْتِهِ
فَالْقَلْبُ أَنَّى يَسْتَرِيحُ لِمَا بِهِ عَلَّلْتِهِ
وَالْفِكْرُ عَنْ آمَالِهِ وَرُؤَاهُ أَنَّى يَلْتَهِى
يَا مَنْ تُطِيلُ النَّظْرَتَيْنْ ؟

أَلشَّوكُ يُدْمِى رَاحَتَيْكِ فَلَا يَرِقُّ وَلَا يَلِينْ
وَغَداً يَزُفُّ النَّارَ تَحْمَى فى اللَّيَالِى الْآخَرِينْ
هُمْ يَدْفَؤُونَ وَأَنْتِ مِنْ قُرِّ الشِّتَا تَتَضَوَّرِينْ
تَشْقَيْنَ أَنْتِ لِكَىْ تَزِيدِى فى رَفَاهِ الْمُسْعَدِينْ
فَتَقَرُّ مِنْ بَلْوَاكِ عَيْنْ

قَطْرُ النَّدَى هَذَا عَلَى الْأَشْوَاكِ أَمْ دَمْعُ الْمُقَلْ
نَارُ الْأَسَى هَذِى الَّتِى تُخْفِينَ أَمْ نُورُ الْأَمَلْ
إِنِّى أَرَاكِ إِلَى الْمَدِينَةِ تَقْصِدِينَ عَلَى عَجَلْ
فَحَذَارِ تَخْدَعُكِ الْبَهَارِجُ فى مَقَالٍ أَوْ عَمَلْ
أَوْ تُؤْمِنِينَ بِمَا تَرَيْنْ

بغداد

أنور شاؤل
المحامى

إلى الريف . . .

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

إلى الريف سِرْ بى يا قطارُ فان لى — فؤاداً للقيا الريف لهفان صاديا
إلى الريف طِرْ بى، فالليالى بغيضة — بمصر إلى مَنْ بات حيرانَ شاكيا

* * *

إلى موطنى الغالى، ومَهْد طفولتى — ومَبْعث آمالى، ومأوى رجائيا
إلى مَشْرعٍ، أرْوِى فؤادى نميرُه — وأُسقيت من رقراقه الماء صافيا
إلى مَرْتعٍ، فيه صحابى ومَعْشرى — وأهلى وجيرانى، ومجلى شبابيا
إلى «قريتى» حيث المروج شذية — تفيض جمالاً باهرَ النور باهيا
بربك عجّل، كى أُعيدَ نضارتى — لديها، وأقضى العيدَ جذلانَ لاهيا

* * *

هنالك نُعمى الله فَيضٌ، فلا ترى — فقيراً تشكّى البؤسَ أو بات طاويا
ولا الشمسَ فيها بالضياء ضَنينةً — ولا الماءَ مقطوعاً، ولا النُّورَ خابيا
ولا الدفء ممنوعاً، ولا البردَ قاتلاً — ولا الأفقَ محدوداً، ولا الطرفَ نابيا
هناك الثرى المحبوبُ يَذْكو عبيرُه — كأن الثرى المحبوبَ مَسَّ الغواليا
حقول زهاها الحُسْنُ طُرّاً وأسفرت — تتيهُ به وَهْداً، وتزهى روابيا
تَضم بساطاً سندسيّاً، وجَنَّةً — ومطبوعَ حُسْنٍ فاتنَ اللُّب سابيا

* * *

أيا «قريتى» هذا وفائى أصوغه — لديك ثناء خالد القول باقيا
اذا امتدح الناسُ المدائنَ وارتضَوْا — حضارتَها، واستعذبوها مغانيا
فهأنذا أُعْلى مكانك فى القُرى — وأَذْرَأُ بالأشعار عنك العواديا
وأُفصح عن حُسْنٍ بواديك كامنٍ — ليُبصر قومى منه ما كان خافياً
حياتُكِ أقصى ما تمنَّاهُ مُترَفٌ — بمصر اذا ما راح عن مصر ضاحيا[1]
هدوء، و إشراق، وزرع، وجَدْول — وأُنْسٌ إذا أمسى بك الذئب عاويا!
أليست ذِئاب الوحش خيراً مغبّةً — من الذئب انساناً لئيماً مرائيا؟

* * *

أيا «قريتى» كم أشتهى أن أعيش فى — ظلالك دَهْرِى هادئ البال راضيا!
ويا رُفقتى فيها، إذا شَطّت النوى — وأصبحتم تستبعِدون التلاقيا
فهأنذا أدنو بقلبى وخاطرى — وها هى ذى روحى تؤدّى الجوازيا
وإن أرتحلْ عنكم إلى دار غُربتى — فما زالَ قلبى حافظ العهد راعيا

محمد يوسف المحجوب
مدرس بالأوقاف الملكية

(١) المراد: ساكن ضواحى القاهرة

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٦ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأستـــاذ خليل هنداوى

لهنرى هاين صفحة قيمة يقارن فيها بين مذاهب هؤلاء الثلاثة[1]، ويذكر مالهم من تأثير فى الحركة الفكرية، وكأنه يجد أن الرسالات التى بشروا بها لم تكن تنطق إلا عن رسالة واحدة هى رسالة الكمال والمثل الأعلى. يقول:

(«لا نجد – عند كانت – إلا كتاباً مسطوراً. أما عند – فيخت – فنحن نتجرد من الكتاب ونرى أنفسنا ازاء رجل جبار قد اتحدت ارادته وفكرته حتى صارتا قطعة واحدة، كنت أقارن بين نابوليون وفيخت، وهما متفقان مزاجاً، وظهورهما فى قومهما متشابه من جميع الوجوه، كلاهما يمثل سلطته «الذاتية» حيث لا نرى الفكرة إلا مقرونة بالعمل. ولكن هذه المبالغة فى الارادة والاعتماد على الذات جعلت عملهما سريع الانهيار، فمذهب – فيخت – العلمى يشبه امبراطورية ذلك العظيم، تلك الامبراطورية التى لم تكد تظهر حتى تصدى لها الزوال فأصبحت كأن لم تغن بالأمس. ولكن ثورة «نابوليون» لا تزال تسرى فى عروق أوروبا، وهكذا كان شأن فلسفة «فيخت» فان مذهبه قد انهار. ولكن النفوس والأفكار لا تزال – من بعده – مضطربة حائرة

جاء «مذهبه فى المثل الأعلى» خطيئة كبيرة فى مجموع فلسفته. ترى فى كل جزء من أجزائها استقلالاً سائداً وارادة واسعة وحرية بعيدة، وتحس بشىء يسيطر على عقول الفتيان. ومذهب «فيخت» فى «الذاتية» كان يلائم خلقه الحديدى، ومثل هذا المذهب القوى لا يلائم غير صاحب هذا الخلق الجبار.

ولا ننسى نصيب «شيلنج» فقد كان علماً من أعلام الفلسفة الألمانية. نظر إلى الطبيعة بنظرة سلم وأحب أن يعلن الهدنة بينها وبين النفس، وأراد أن يجمع بينهما، فأحيا الفلسفة القديمة التى جاء بها اليه نان الأقدمون قبل سقراط. ولكنه استسلم كثيراً لسلطان الخيال، ولم يخاطب العقل كثيراً فتضعضعت فلسفته

(١) كانت وفيخت وشيلنج: من كتابه «ألمانيا»

تحت مطرقة العقل ، فجاء « هيجل » وتبوأ مقعد الفلسفة ، فاعتزل « شيلنج » ونزل فى « مونيخ » وهناك رأيته يعيش هائماً كالشبح ، بعينين غشيتهما صفرة ، ووجه ذليل كأنه صورة شقية لمدينة خربة مهجورة »)

هيجل Hegel

١٧٧٠ — ١٨٣١

حياته

ولد « هيجل » فى « استتجار » وأكب فى بدء نشأته على اللاهوت كزميليه من قبل ، فقضى خمسة أعوام فى جامعة «توبنج » حيث تعرف فيها الى «شيلنج» ونشأت بينهما صداقة متينة . . . وبينا هو يركب مركب الحيرة من دنياه مات أخوه ؛ فأحيا ماورثه منه فى نفسه شيئاً من الأمل الذى كاد ينطفىء بعد امحاض . فعاد الى « اينا » حيث التقى للمرة الثانية « بشيلنج » وأخرج معـــه المجلة الفلسفية . ولم يكن هيجل حتى ذلك الحين ليطمع فى أكثر مما بلغ أو يمد عنقه الى أكثر مما نال ، ولـكن عبقرية هيجل أخذت تميط اللثام عن وجهها وتدرج بدون استحياء ، وظهرت براعته وحرية تفكيره فى المقالات التى حبرها للذود عن آراء زميليه ، وكأن الحظ أراد أن يواتيه مرة أخرى ، فترك « شيلنج » منبر الجامعة ، فاتسع المجال لهيجل لأبداء قوته وإظهار مقدرته ؛ فعجل ذلك فى تعيينه أسـتاذاً . وفى عام ١٨٠٦ حين كان المدفع يلعلع فى (اينا) أنجز الفيلسوف كتابه La phénoménologie de l'esprit الذى يحتوى على جميع نظراته الفلسفية . وازاء هـذه الضربات التى نزلت بلاده ، وقف وقفة المتأمل ونظر اليها والى عللها نظر الفيلسوف . وقد كتب الى أحد أصدقائه هذه الرسالة . . (قد سر نفسى ماعلمته عنك بأنك عازم على قضاء الشتاء مستسلماً الى العزلة والفلسفة ، وقد تحب الفلسفة العزلة الهادئة ؛ ولـكنها مع ذلك لاتحتاج الى أن تكره المجتمع أو أن تفر من أعمال الناس . . وأنت ، أنت معير انتباهك لتاريخ اليوم ، وفى الحق لن تجد أبلغ منه ولا أوعى ، هو يريك أن الحضارة لابد غالبة على البربرية ، وأن العقل الذى يفـكر سوف يقهر الفطنة المسكينة التى لاتفـكر ، العلم هو حصننا المنيع . . يعلمنا ألا نبقى فاتحين أفواهنا كالمتثائبين أمام الحوادث ، لانجعلها وليدة مصادفة غريبة أو ابنة براعة رجل واحد ، ولا أن نقيد حظ نصر مملـكة بربوة كان يجب عليها امتلاكها ، أو بأخرى أهملت نسياناً ، ولا أن نرسل الأنين حزناً وراء انتصارات قضى عليها جور الحظ . إن ثورة فرنسا الدامية قد أنقذت الشعب الفرنسى من أوضاع شوهت النفس الانسانية وخنقت أرواح الشعوب كما خنقت روح هـذا الشعب ، كل فرنسى ألف أن يتمثل مصرعه أمامه ، وهذه الأوضاع والتقاليد التى يحمل عليها الناس حملاً قد لقيت مصرعها فى فرنسا ، وهذا ما يكتب روح العظمة لهذا الشعب . . . .)

وليس التحليل النفسى موضوع هذا الـكتاب ، وإنمـا هو يصف مراحل النفس فى أصل نشأتها وحياتها حتى اليوم الذى يتيقظ فيها كل شعورها ووعيها ، إذ تشعر بذاتها أنها قادرة على تحقيق « العلم المطلق » Sience absolue وبهـذا يمكننا أن ندعوه درس أطوار النفس البشرية ، وهذا الدرس يعمل بواسطة نظرياته المنطقية على إنماء الحركة البشرية وعلى إعداد حركة العـلم المطلق الذى تبدو بوادره

وأخيراً بعـد محاولات وتجارب أخفقت فى ميدان الحياة أهاب به الحظ فدعى إلى « برلين » الى المنبر الذى كان يشغله « فيخت » فلبث فيـه حتى نزل به الوباء الذى اجتاحه فيمن اجتاح عام ١٨٣١ . وهو خلال تدريسه قد قام بأسفار ورحلات صغيرة تدل عليها رسائله الخاصة إلى امرأته اللطيفة ذات الروح الرقيقة التى كانت تعبد زوجها وتعجب به وتحترق ، ولـكنها لا تفهمه . زار المناطق المنخفضة ، ونزل فى « ڤينا » وهبط « باريس » ضيفاً على الفيلسوف الفرنسى « ڤيكتور كوزان » وقد كان منزله فى برلين محط النازلين من فلاسفة ولاهوتيين وأدباء على اختلاف نحلهم ومللهم ، ورجال الدولة الذين يهرعون إلى سماع حكمه ودرره ، وكتب فى هذه الفترة كتابه « المنطق » و « معلمة فلسفية » وبعض المحاضرات التى كان يؤثر بها طلابه فى الجامعة

أسلوبه

على أن أسلوب هيجل قد جاء مثلاً قاسياً فى التعقيد والابهام

اللذين اتصف بهما ، فهو صعب صعب لا يقدر على إدراك أحاجيه ومراميه إلا النبيه المفكر، وهو — برغم هذا كان أعظم مفكر ألمانى يجهر بآرائه ، وينزل بها صريحة إلى قرائه ؛ تتلمسه فتجده مظلماً ، وتستوضحه فتراه مبهما ، أما هيجل الأديب فانك ملاقيه واضحاً فى تضاعيف رسالاته ، أما هيجل الفيلسوف فهو ذو أسلوب وحشى ، تسنح له فكرة فيزجيها إلى الناس كما يريد بأسلوبه . ولقد تلمح فى ثنايا سطوره كلمة أو عبارة لا معة فتعجب من هذا وتود لويدوم ! وهو أشد استرسالاً — من كانت — إلى المبهمات ، لأن — كانت — تكاد تكون عباراته محدودة فى مواطن معدودة ، أما أسلوب هيجل فهو يخالفه — أنى أشرفت عليه — وأشرف عليك ، هذا الابهام وهذا التعقيد ...

فلسفة

إن المتعمق فى فلسفة « هيجل » يجد أن جوهرها لا يخلو من أجزاء مقتبسة من « شيلنج » و « سبينوزا » ، وهيجل هو القائل عن « سبينوزا » (لا ينقص هذا الرجل إلا أن يعتبر الجوهر الآلهى روحاً طاهراً « esprit pur » وأن يوحد هذا الروح مع الروح الانسانى بدلاً من أن يرى أن الروح الانسانى هو عنصر جاء على شكل الجوهر الآلهى ولكنه مجرد من الحرية والشخصية) ونظر « هيجل » إلى الواحد المطلق الذى افترضه « شيلنج » فراعه هذا الواحد الذى امتزج فيه ضدان لا يجتمعان بوساطة قانون بارد ! . فمر « هيجل » بمادة سبينوزا والواحد المطلق ؛ وأناب مناب هاتين المادتين « الفكر » «L, idée» الماضى فى حركته التفكيرية ... وقد تبدو هذه الحركة فى ظاهرها حركة اسمية ، ولكنها — فى الحقيقة — حركة جديدة تعمل على بناء الكون بناء جديداً . ولم يكن السكون المطلق « repos » عاملاً من عوامل هذه الحياة ، ولكن هى الفعّالية ، قانون الحياة الأسمى . وهكذا يحل التبدل المستمر محل الثبات المستقر

وحركة الفكر تتمشى على نمط واحد ، وكل خطوة يخطوها الفكر إلى الأمام تتألف من ثلاث حالات متتالية . كل ما هو موجود يكتنفه حد من ذاته ؛ والوجود يحتوى على العدم . وجواز الوجود إلى العدم والعدم إلى الوجود إنما هو التحول . فالوجود والعدم والتحول إنما هى قانون الأشياء بدون استثناء ، فلا يحدث شئ ولا يترق إلا تبعاً لهذه الأطوار . وقد شبهوا مذهب « هيجل » بكنيسة مشيدة على الطراز القوطى ، يرى الناظر فى كل جزء منها رسم البناء مصغراً ؛ يريدون أن الفروع المشتقة من فلسفته صور مصغرة عن الأصول

ها هو ذا الفكر الماضى فى حركته التفكيرية يظهر خطره ويبدو أثره فى الكون من مهد الحياة الناقصة الى عهد الحياة الكاملة ، الى عصر الانسان ، وهو خلال ذلك يمر بأدوار الكمال وفى كل دور يتبدل شأنه ويقوى سلطانه وينفسح مداه . كل طور يصعد اليه هو أسمى من الطور الذى تخطاه ، ولكن السمو كل السمو لا يتجلى إلا فى الفكر المبدع . وكل خلق — جماداً كان أو ذا روح — مخلوق لذاته ، لا يتزحزح عما هو عليه ، ولا يجوز من طوره الى طور غيره . وفى بعض مواطن ترى « هيجل » يرذل مذهب القائلين بالاستحالة . .وكل كائن — عنده — يمثل صورة متفاوتة الكمال ملائمة لفكرة الكائن . أو قل « هدفاً » يرقى اليه فى سيره نحو الهيئة الانسانية ، حيث يتم له لأول مرة أن يكمل ويتم . والطبيعة عنده ليست بصورة كاملة ، ان هى إلا [مسودّة] فى كتاب الخليقة ، لأن هيجل لا يرى فيها إلا مجموعة متناقضات لا تتوافق ولا تلتئم ، تدل على عجز ظاهر وعلى اضطراب فى المنطق . وقد أعطانا صورة جديدة عن الكون كما يود أن يكون . فهو فى نظراته الفلكية مثلاً لا يبحث كثيراً فى هذا الفضاء اللامتناهى . وإنما هو يرى الأرض — نظرياً — قلب الوجود ، ويرى النجوم العالقة بالسماء كالبثور الطافحة على جلد الانسان

(يتبع) خليل هنداوى

القصص

إبليس يعشق

للأديب حسين شوقي

كان إبليس يقيم فى مصيف « دوفيل » ، ولم تمض أيام معدودة على قدومه إليها حتى كان من أثر وجوده بها عدة حوادث انتحار ، وقعت بين رواد قاعتى « الروليت » « والبكارا » . .

ولكن هبطت عليه ذات يوم برقية من مجلس الشياطين الأعلى المنعقد فى « بروكن » (١) تدعوه الى الذهاب من فوره إلى قرية س . . فى جبال الألب ليقضى هناك على أسرة صغيرة تعيش فى سرور وهناء لا حدّ لهما ، لأن الشياطين كما تعلم لا يطيقون رؤية بنى البشر سعداء . . بلغ إبليس القرية ، ولم يكد يصل اليها حتى قصد الدار التى تسكنها هذه الأسرة الصغيرة السعيدة لينتهى من أمرها فى سرعة ، ثم يعود على عجل إلى مصيفه فى « دوفيل » حيث كان يتلذذ من إلحاق الأذى بلاعبي الورق . .

كانت هـذه الأسرة السعيدة مؤلفة من ثلاثة : الزوج ، وهو شاب جميـل فى الخامسة والعشرين ، والزوجة ، وهى فتاة جميلة أيضاً فى سن العشرين ، والولد ، وهو طفل لطيف فى الأشهر الأولى من عمره . .

وكانت هذه الأسرة تسكن منزلاً صغيراً جميلاً شيد على رابية تشرف عليها جبال الألب الشاهقة وكأنها أسوار رفعتها يد العناية لحماية القرى المجاورة وسكانها الهادئين من حوادث الطبيعة العظيمة . .

ذهب إبليس يزور الأسرة السعيدة فى زى بائع أمتعة متجول ، كى يتعرف موضع عمله ، فلم يجد الزوج إذ كان فى عمله بالحقل ، ولكنه وجد الزوجة فى الحديقة تدلل طفلها ، وقد ضمته إلى صدرها . حقاً ! إن السعادة كانت بادية بأجلى مظاهرها على وجه الزوجة الذى يفيض شباباً وجمالاً . . عرض إبليس أسهمه على الزوجة ، ولكنها اعتذرت فى لطف عن عدم الشراء ، ثم قدمت اليه قدحاً من النبيذ ليرفه به عن نفسه من عناء المسير ، فشربه إبليس ثم شكر الزوجة وانصرف وهو حانق على مجلس الشياطين الأعلى الذى أزعجه فى مصيفه « بدوفيل » لأمر تافه مثل هذا ، لأن القضاء على سعادة هذه الأسرة بسيط جداً ، فقد يكفى إعطاء الطفل جرعة من جراثيم الدفتريا ، ليقضى عليه فوراً ، فتصبح الأسرة فى يأس ونكد

كم واجه ابليس حوادث أدقّ فى « دوفيل » ! إنه ما زال يذكر مع الغبطة حادث البارونة س . . التى وسوس اليها أن تبيع حليها لتعطى ثمنهـا إلى عشيقها كى يخسر هـذه النقود على المائدة الخضراء أولاً فأولاً ، ولما نفدت الحلىّ وهدّد العشيق البارونة بالهجر ، لجأت إلى تزوير إمضاء زوجها على شـيك ، ولكن اكتشف التزوير فاضطرت البارونة أن تنتحر اتقاء للفضيحة والعار

فى مساء يوم زيارته لمنزل تلك الأسرة ، اقتنص ابليس بضعة جراثيم دفتريا فوضعها فى قنينة ثم حفظها فى جيبه . . ثم ذهب ابليس فى اليوم التالى يزور الزوجة ، وقد تزيا فى هذه المرة بزىّ بائع حرائر ، ولكن لم يكد يقترب من المنزل حتى سمع صوتاً جميلاً ينبعث من الحديقة لم يسمع أعذب منه منذ خروجه من الفردوس ، فوقف يصغى اليه . . ثم تقدم خطوات . . فشاهد الزوجة الجميلة مكبة على طفلها وهو راقد فى مهده تناغيه . تأثر أبليس بجمال هـذا المنظر تأثراً شـديداً ، فألقى القنينة بعيداً وانسحب كى لا يعكر صفاء هذه الأم الجميلة . .

أحسّ ابليس فى طريق عودته الي الفندق بسعادة عميقة

---

(١) بروكن ، جبل من الجرانيت فى الهارتز (ألمـانيا) تزعم الأساطير أن الأبالسة والسحرة يجتمعون فيه

تغمر نفسه ، فخبأ وجهه بين يديه حتى لا يراه شيطان آخر على هذه الحالة ، فيحاول أن يقضى على سعادته !

يا للعجب ! إن ابليس عاشق ! إنها حقاً نهاية النهايات !

أخذ ابليس طول الليل يفكر فى حاله ، لايدرى ما يفعل . .

فكر أولاً فى قتل الزوج ليتقدم بعد ذلك الى المحبوبة فى صورة شاب جميل سرى ، ولكن تراءى له عند ئذ وجه المحبوبة سابحاً فى الدموع على فقدها زوجها ، فأقصى عنه تلك الصورة القاسية المنطوية على الحقد والأنانية ، لأن ابليس لم يعد شريراً وقد طهر الحب قلبه . .

وللمرة الأولى ، أحس ابليس أنه بائس ، أشد بؤساً من متسولى الهند . .

وللمرة الأولى أيضاً ، بكى ابليس ، وكانت دموعه هذه المرة دموعاً بشرية بيضاء على غير العادة ، إذ كانت عيونه قبل ذلك تفرز سائلاً أسود مثل نفسه السوداء . .

ولما لم يجد ابليس وسيلة للاستيلاء على المحبوبة دون تكدير صفوها ، قرر أن ينتحر . . .

غادر ابليس الفندق وسط الظلام ، ثم ذهب فتسلق أعلى قمة فى الجبل وقفز منها الى السماء ، فاحترق جسمه من شدة السرعة التى انطلق بها فى الجو . . .

وهكذا قضى ابليس نحبه حاملاً معه أول وآخر حب له !

ولكن هذا لم يمنع المراصد الفلكية أن تذكر فى تقريرها ، فى اليوم التالى ، أن شهاباً هوى بجهة قرية س . . فى جبال الألب ، وهو شهاب يجهله عالم الفلك للآن فأحدث سقوطه نوراً ساطعاً

كرمة ابن هانئ **حسين شوقى**

من أقاصيص الجاهلية

٢ـ حرب البسوس

بقلم اليوزباشى أحمد الطاهر

« عود على بدء »

قتل كليب فعمت الملأ فتنة عمياء ، وهبت عليهم عاصفة هوجاء ، ونزغ الشيطان بين العشيرتين

هنا قلوب تقطر حزناً ، وحزناً يدفع إلى اليأس وإلى الموت ، وهنا نفوس تتواثب إلى الانتقام ، وتستعذب فى سبيله الحمام . وهناك قلوب تجب من هول ماأقدمت عليه ، وتستشعر الندم لمقتل كليب ، تهمس به فى غسق الليل ، وتخفيه نهاراً ، ضنا بالكرامة وأنفة واستكباراً ، وهناك فتية يتحرقون للقتال ، ولكن لايثقون بنصرة الرجال ، ويخشون أن يتخاذل النصراء عند نزول الخطب ويستخذى الرجال عند اشتداد الكرب ، وبين هؤلاء وهؤلاء كهول وشيوخ يسيرون فى الليلة الظلماء على قبس الحكمة ونور الأناة ، ويتابعون السير فى مدلهم الحوادث ، يبتغون مخرجاً من الكوارث . فقعدوا عن الحرب فى صمت ووجوم ، ولم يعينوا ظالماً على مظلوم ، ومن هاماتهم الفند الزمانى ، والحرث بن عباد فارس النعامة

ولكن طغت على القوم ثورة الغضب . وانساقوا إلى الحرب ورداً يؤزهم الشيطان أزّاً

ولم يطب لبنى شيبان المقام بأرض لقوا فيها مذلة ، ولهم فيها ذلة ، فارتحلوا ونزلوا « بماء النُّهى » ولحقت جليلة بأبيها مرة ابن ذهل . وعلى رأس بنى شيبان الحرث بن مرة أخو جساس وعلى رأس بنى تغلب المهلهل بن ربيعة أخو كليب واستحر القتال بينهم بماء النهى ودارت الدائرة على بنى شيبان ، وكانت الغلبة لتغلب ؛

ولما أصبح القوم على مدرجة من سيل الحوادث ، قال قائل منهم :

« هلموا إلى الكهنة نستلهمهم الصواب ، علهم يكشفون الكرب أو يحجبون البلاء » وقال آخر : « ما للكهنة وهذه الكروب ؟ إنما يلوون ألسنتهم بالقول كأنما نزل عليهم من السماء ،

فان تدبرت فى قولهم لم تفهم منه شيئاً محدوداً ، ولا رأياً مقصوداً ، وإن فهمت فقد تفهم من القول معنيين لا تدرى أيهما تأخــذ وأيهما تدع . »

واستقروا على أن يستشيروا الكهنة . فان عجزوا عن هديهم اعتصموا بعجزهم عن لوم [illegible] . وبعثوا إلى الكهنة رسولاً منهم

وعاد الرسول يتلو عليهم قول الكهنة « يا للمحنة ويا للشقاء ! ريح نكباء ، وكرب وبلاء ، وحرب ضروس ، وسيوف تطيح بالرءوس ، والقوم أحرص على الموت من حرص الموت على النفوس . قتل كليب ولا بد مما كان ، والرأى عند الفوارس لا عند الكهان »

ــ « أفهمتم من قولهم شيئاً يا قوم ؟ »

ــ « انهم يأمرون بالقتال ! »

ــ « انهم لا يأمرون بالقتال ! »

ومضى القوم فى صخب ولجب ، وقاموا إلى المهلهل بن ربيعة أخى كليب يعجمون عوده ، ويغمزون قناته . فاذا هو فى فريق من أهله منهم عتاب بن سعد بن زهير ، وكعب بن زهير . والقوم بين ثائر يدعو إلى القتال وينفخ فى ناره ، وعاقل يجنح إلى السلام ويدعو إلى داره ، وفيهم من دسه بنو بكر ، ليتنسم الأخبار ، ويكشف عن النوايا الستار

وقام المهلهل على شرف واتكأ على رمحه وقال :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها ... إن أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عز ومكرمة ... تحت السفاسف إذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليباً لى فقلت لهم ... مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ... ما كل آلائه يا قوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها ... زهواً إذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها ... إلا وقد خضبوها من أعاديها
نروى الرماح بأيدينا فنوردها ... بيضاً ونصــدرها حمراً أعاليها
ليت السماء على من تحتها وقعت ... وانشقت الأرض فانجابت عن فيها

وكأن المهلهل لم يغب عنه أن فى الجمع الذى انتظم عنده أفراداً من بكر يتجسسون ، فقذفهم بقوله :

لا أصلح الله منا من يصالحكم ... ما لاحت الشمس فى أعلى مجاريها

فالقموا حجراً وقاموا إلى أهلهم يتميزون . وبقى التغلبيون ، فقال لهم المهلهل : « ياقوم ! أما الحرب فانه لا يقف فى سبيلى إليها خوف أو جزع ، ولا يتكاءدنى فى طريقى إليها خور أو فزع ، والقوم قد لجوا فى عتو ونفور ، وسأخسف بهم الأرض فاذا هى تمور . فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً ، قال كبيرهم « إن المهلهل لا ينثنى . والرأى عندى أن نبعث نفراً منا إلى بكر يعرضون عليهم الفداء مشتطين فيه حتى لا يكون لبكر قبل بأدائه ، ولا يجدوا سبيلاً إلى وفائه ، فان عجزوا — وسيعجزون — كان لنا فى حربهم سبب ومعذرة . » وابتلوا من بينهم ثلاثة بالسفارة إلى مرة بن ذهل ابن شيبان وهو أبو الحرث وأبو همام وأبو جساس وأبو جليلة . قالوا له : « إنكم أتيتم عظيماً بقتلكم كليباً بناب من الأبل ، فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ، وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم ، ونحن نعرض خلالاً أربعاً لكم فيها مخرج ولنا مقنع » فقال مرة « وما هى ؟ » قالوا : « تحيى لنا كليباً ! أو تدفع الينا جساساً قاتله فنقتله . أو هماما أخاه فانه كفء له ، أو تمكنا من نفسك فان فيك وفاء من دمه » قال : « أما إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون ، وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوى عليه ، وأما همام فانه لن يسلمه الى أبناؤه العشرة ، ولا أخوته العشرة ، ولا أبناء أخوته العشرة ، أولئك جميعاً لا يدفعون به الىّ ولا اليكم ، وهم فرسان قومهم لتقتلوه بجريرة غيره ، وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة غداً فأكون أول قتيل بينها ، فما أتعجل من الموت ولكن لكم عندى خصلتان : أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل »

قالوا : « لا ! » بملء أفواههم وأصروا واستكبروا استكباراً

***

وا رحمتاه لهذا الشيخ المنكود مرة بن ذهل ، هذه ابنته جليلة قد قتل زوجها فعادت اليه مكلومة الفؤاد مهيضة الجناح ، وهذا ابنه جساس قد قتل زوج أخته وفر لا يعلم له مستقر ، وهذا ابنه الحرث بن مرة فر من الموت فى وقعة النهى فأدركه الموت فى وقعة الذنائب إثر طعنة من كعب بن زهير ، وهذا ابنه همام طلب للموت يوم عرض الفدية فضن به أبوه ، وطلبه الموت يوم « واردات » فما استطاع أبوه للموت رداً

وعزيز علىّ القوم أن يموت همام أبو العشرة وأخو العشرة

البريد الأدبي

ضوء جديد على حياة موباسان

منذ بضعة أعوام احتفل فى فرنسا بتخليد ذكرى الكاتب القصصى الأشهر جى دى موباسان ، وأقيم له نصب تذكارى فى بلده مسقط رأسه ميرومنزنل ؛ ونوه وزير المعارف فى خطابه الذى ألقاه يومئذ بما لقيه موباسان أثناء حياته وبعد وفاته من النكران ، وبما يجب لفنه وتراثه الرائع على الجيل الفتى من تقدير وعرفان ، واليوم تصدر طبعة جديدة مصورة لتراث موباسان كله يشترك فى تصويرها بول فولكى وشاس لابورد وبونفليس من أعظم مصورى فرنسا . وقد صدرت منها الأجزاء الثلاثة الأولى بعناية الكاتب رينه دومنزنل مترجم موباسان مصورة بدراسة جديدة ضافية للنواحى البارزة فى حياة القصصى الأكبر وفنه ، وفيها يهدم دومنزنل نظرية قديمة عن الأثر الذى تركه مرض موباسان العقلى فى أعوامه الأخيرة فى بعض قصصه ، ولاسيما قصة «لاهورل» التى قيل عنها دائماً إنها تمثل مرحلة الاضطراب العقلى لموباسان ؛ فيقول لنا دومنزنل إن المرض شئ والقصة شئ آخر ، وإن موضوعها قد أعطى لموباسان من صديقه ليون هنك ، وإن ماقيل بعد ذلك من أنها كتبت بقلم مجنون أو مخبول العقل إنما هو افتراء محض ، ويستدل دومنزنل بذلك على مارواه الكاتب الانكليزى فرنك هاريس فى كتابه « حياتى وحوادث غرامى » وقد كان صديقاً حميماً لموباسان منذ سنة ١٨٨٠ ، ويتفق هاريس مع بعض أولئك الذين لقوا موباسان فى أن مظهره لم يكن يدل على عبقرية أو مواهب ممتازة ، وأنه كان فى مجالسه الأدبية متحفظاً ، ولما كتب « لا هورل » أرسل إلى فرنك هاريس يقول : « سيقول معظم النقدة إنني قد جننت ، ولكن إياك أن تخدع بأقوالهم ، فاننى متمتع بكامل صحتى وعقلى » فرد عليه هاريس فى محادثة جرت بينهما بأن الروع الذى أثارته هذه القصة فى نفسه (أى موباسان) لا بد أن يكون قد أثر فى أعصابه ، فأكد له موباسان أنه مخطئ . ولكن هاريس يقص إلى جانب ذلك أن موباسان كان مفرطاً فى مطارداته الغرامية ، وأنه كان دائماً أبداً صريع الغانيات لا يكاد يفارقهن . والواقع أن موباسان كان عملاقاً جباراً يفرط فى كل شئ فى العمل وفى اللهو ؛ وما يكتبه عنه هاريس فى كتابه يكشف عن حقائق وسوآت كثيرة فى حياته وخلاله الشخصية لم يتناولها مترجموه وأصدقاؤه الذين كتبوا عنه

وقد أثار ظهور هذه الطبعة الجديدة لتراث القصصى الأشهر اهتماماً عظيماً فى دوائر الأدب والفن

ملك النور

سبق أن ذكرنا أن بعثة علمية سافرت الى الهند لتبحث عن أصل النور (الغجر) ، لما هو ذائع من أن أصل النور يرجع الى بعض القبائل والأجناس الهندية التى تعيش على ضفاف نهر الكنج ، ولما هو مقرر من أن معظم اللهجات التى يتكلمها النور

وعم العشرة . ولقد أصاب موته الوتر الأرن من قلب المهلهل ، والمهلهل قد علمت غليظ القلب مصدور ، شديد البأس موتور ، وقف عند همام وهو طريح تسيل دماؤه على الأرض وتصعد روحه الى السماء تشكو الى بارئها ظلم الانسان للانسان وقال : « والله ما قتل بعد كليب قتيل أعز علىّ فقداً منك »

وتحدث القوم عن موت همام ، وعن نكبة أبى همام وقد ابيضت عيناه من الحزن ، وقال الملأ : « أما لهذه الويلات من آخر ؟ هذا المهلهل يقطر قلبه حزناً لقتل همام ولكنه يمضى فى بغيه واستئساده كأنما رءوس بكر زرع قد وكل بحصاده »

***

ولم تكن الحرب سجالاً بين الفريقين حتى اليوم ، بل كانت الغلبة لتغلب ، أما غداً فسيكون لها شأن آخر ؟

أخرجها : أحمد الطاهر

تحتوى على كثير من الألفاظ الهندية . ونضيف هنا أن ملك النور — لأن للنور ملكا غير متوج — قرر أخيراً أن يسير الى ضفاف الكنج فى موكبه الملوكى ليقف على المباحث التى ستجرى عن أصول النور وأحوالهم . وهذا الملك أو الزعيم هو نورى رومانى يدعى ميشيل كفيك ، ومقره على مقربة من مدينة شرنوفتز . وقد نظم ميشيل كفيك موكبه الملوكى فى ظاهر شرنوفتز ، ونصب خيمته المحلاة بالذهب ، وأخرج جميع عرباته وخيوله ، وحوله أقطاب النور يرفلون فى ثيابهم المزركشة ، ويعتبر ميشيل كفيك ملكا على جميع النور فى العالم ، وعددهم يبلغ زهاء أربعة عشر مليوناً ، وقد انتخب للعرش هذا العام فى مؤتمر عقد فى بعض غابات بولونيا ؛ وهو ينوى أن يسير بركبه الى ضفاف الكنج ، وينشىء هناك « دولة نورية » ، ومن الطريف أن نعرف أنه توجد بالفعل مجلة نورية فى روسيا لها صفة رسمية وتسمى « بيروبدجان » ، وأن لها علائق رسمية بحكومة السوفيت . وقد حادث مكاتب جريدة الجورنال فى بوخارست ملك النور ، وسأله فى شىء من التهكم عما إذا كان يزمع بعد تأسيس دولته الجديدة أن تلتحق المملكة النورية بعصبة الأمم ، فأجابه أنه سيعنى منذ البداية بتحقيق هذه الغاية

كتاب عن كليوباطرة

أصدرت الكاتبة الفرنسية المعروفة « مريام هارى » كتاباً عن « كليوباطرة » ملكة مصر التى عاصرت عصر هيرود الأكبر وعصر المسيح . ومن المعروف أن مريام هارى كتبت من قبل عدة فصول تقول فيها إن جثة ملكة مصر الحسناء توجد فى الواقع فى فرنسا ، وإنها دفنت فى باريس ، فى ناحية من متحف اللوفر ؛ ذلك أنها أخذت ضمن ما أخذ الفرنسيون من الموميات والآثار المصرية ، ووضعت هنالك فى ناووس ، واستمرت كذلك نحو ستين أو سبعين عاماً ؛ ثم تغيرت رائحة الموميا ودب إليها العطب ؛ فقررت إدارة المتحف أن تدفنها فى ناحية من المتحف ونفذ هذا القرار بالفعل ، ولكن مكان دفنها الحقيقى لم يعين ولم يعرف بعد . على أن رواية مريام هارى تفتقر إلى كثير من عناصر الإثبات ، ولو أنها أثارت وقت اذاعتها كثيراً من الاهتمام . وتحاول مريام هارى فى كتابها الجديد أن تعرض حياة كليوباترة الملكة المستبدة ، والمرأة الحسناء الرائعة ، التى ما زالت قصص غرامها ، ولياليها الغرامية الخيالية ونزهاتها الشهيرة فى النيل ، مستقى لكثير من الفنانين والكتاب المحدثين

المحكمون
فى المسابقة الأدبية

نشرنا فى العدد ٧٩ من الرسالة قصيدة من النسق العالى فى الشعر الفرنسى للآنسة النابغة (مىّ) ومعها ترجمتها بقلمها ، وقد قدمتها إلى شعرائنا مقترحة أن ينقلوها نظماً إلى العربية فى موعد لا يتجاوز آخر شهر فبراير سنة ١٩٣٥ ، وقد تفضلت فتبرعت للمجيد الأول بجائزة مالية قدرها جنيهان مصريان . وسيكون الفصل بين الشعراء للجنة مؤلفة من الدكتور طه حسين ، والأستاذ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور أحمد زكى وكيل كلية العلوم ، وصاحب هذه المجلة

احتجاج غريب للناشرين الفرنسيين

ذكرنا فى فرصة سابقة أن لجنة خاصة ألفت تحت إشراف وزارة المعارف الفرنسية للعمل على إصدار الطبعة الثانية من دائرة المعارف الفرنسية التى صدرت منذ نحو نصف قرن وأضحت قديمة ناقصة . والمعروف أن هذه الطبعة الجديدة التى سيبدأ صدورها منذ هذا العام (سنة ١٩٣٥) ستعرض للبيع بثمن معتدل يفى بتكاليف اخراجها فقط . وقد كان فى ذلك ما يدعو للمديح والرضى ولكنه كان بالعكس مثار الاحتجاج والنقد . ذلك أن مسيو ارستيد كييه رئيس نقابة الناشرين ومديرى الصحف والمجلات قد رفع إلى رئيس الوزارة الفرنسية مذكرة يحتج فيها باسم نقابته على ما قررته الحكومة من بيع دائرة المعارف للجمهور بثمن استثنائى باعتبار أنها مشروع علمى لم يثقل بنفقات أو ضرائب إضافية ؛ ويقول مسيو كييه فى مذكرته إن مثل هذا المشروع يعرض الناشرين الفرنسيين إلى منافسة غير عادية ؛ ويطلب إلى رئيس الوزارة أن تصدر دائرة المعارف طبقاً للعرف العام وأن

تباع طبقاً للظروف التجارية العامة ، حتى لا يسيء ظهورها بهذه الصفة إلى مصالح الناشرين الفرنسيين

وفاة فنان شهير

توفى أخيراً لوسيان فوجير الفنان والمغنى الشهير فى عامه الثامن والثمانين . وقد لبث فوجير مدى نصف قرن فى طليعة أساتذة الغناء فى فرنسا ، وبدأ حياته فى مسرح « باتافلان » منذ ســـنة ١٨٧٠ ، ثم تنقل فى عدة مسارح حتى انتهى الى « الأوبرا كوميك » وذاعت شهرته عندئذ ، وبرز بفنه وابتكاره ؛ ووضع أناشيد وأغانى كثيرة كانت تلقى نجاحاً عظيماً . ومن غريب أمره أنه ظل حافظاً لقواه الفنية ، ومواهبه الغنائية حتى آخر سنى حياته ؛ وكان فى العام الماضى فقط ما يزال يجذب الجماهير حيثما يغنى

ذكرى علامة طبيعى

يتأهب أصدقاء الكاتب الطبيعى لوى ديبرى للأحتفال هذا (العام سنة ١٩٣٥) بمرور خمسين سنة على وفاته ، وستقام بهذه المناسبة لوحة تذكارية فى قريتـه « روفر » . وقد توفى ديبرى فى عنفوان شبابه ، فى الثانية والعشرين ، وفى ظروف مؤثرة ، إذ توفى فى سجنه حيث كان يقضى شهرا حكم به عليه من أجل كتابه الذى ألفه مع هنرى فيڤر وعنوانه « حول برج الأجراس » . وقد كان لهذه القضية يومئذ ضجة كبيرة واحتج عليها أقطاب العصر مثل راول وچونكور وددويه وكليمنصو وغيرهم

عنكبوت عجيب

بينما كان بعض العمال ينقبون فى أحـد البيوت القديمة فى بلدة شومنيان هفان بالقرب من شنغاى فى الصين ، رأوا عنكبوتاً غريباً فى شكله ، عجيباً فى تركيب جسمه ، له وجه يشبه وجه الأنسان ، رأسه عريض كبير ، ووجهه يميل الى البياض ، وله فوق عينيه حاجبان أسودان وأنف أسود وشفة بيضاء

وقد أرسل هذا العنكبوت الغريب الى معهد تعليم الشعب فى شنغاى لعرضه على العلماء ليقولوا رأيهم فيه

من روائع الشرق والغرب

مغرب الشمس فى البحر

لأمير النثر الفرنسى « شاتو بريان »

من كتابه (عبقرية المسيحية)

بقلم أحمد حسن الزيات

كانت السفينة التى كنا نعبر بها المحيط إلى أمريكا فوق سوية الأرض اليبس ؛ فلم يعد أمامنا مدُّ الفضاء ، غير طبقين من زرقة البحر وزرقة السماء ! فكأنما كان نسيجاً أعده مصور فنان ليتلقى عليه آية إلهامه وإبداع فنه . وكان لون الماء قد ارتد إلى لون الزجاج المذوَّب ؛ وقد سرت فى الموج رعدة قوية جاءته من ناحية المغرب ، مع أن الريح كانت تهب حينئذ من جهة المشرق ، ثم ثارت من الشمال إلى الجنوب أمواج عالية ، كانت تفتح فى ثنايا أوديتها فُرَجاً طويلة يقع النظر منها على صحارى المحيط . كانت هذه المناظر المنتقلة تختلف وجوهها فى كل لحظة : فتارة تكون سلاسل من الرُّبى المخضرَّة كأنها أخاديد الأجداث فى مقبرة واسعة ، وتارة تكون أرسالاً من الموج تتراغى أعاليه فتحكى قطعاناً من الغنم البيض قد انتشرت فى حقول الخلنج ؛ وغالباً ما ينطبق الفضاء فلا ينطبق عليه تشبيه ، فاذا ارتفعت موجة على متن المحيط ، وانخفضت لجة فصارت كالساحل البعيد ، ومر رعيل من كلاب البحر فى خط الأفق ، انفتح الفضاء أمامنا فجأة . إنما كنا نتصور اتساع المدى وانفساح الطرف إذا ما تسحب على وجه البحر ضباب خفيف ، فكأنما كان يزيد فى سعة الأفق ، ويدفع فى امتداد الجو !

آه ! لشدَّ ما كانت صور الأقيانوس فى تلك الساعة مظهر عظمة ومثار حزن ! ولله تلك الأحلام التى يلقيك فيها ويغمرك بها ! سواء بإيغال الخيال فى بحار الشمال بين الصقيع والزوابع ، أو بإرسائه فى بحار الجنوب على جزر الرخاء والغبطة ؟

كان غالباً ما يحدث أن نهب من النوم بعد وهن من الليل فنجلس على ظهر السفينة حيث لا نجد إلا ضابط النوبة وبعض البحارة يدخنون غلايينهم فى سكون وصمت ، وكان كل ما يقع فى الأذن إذ ذاك إنما هو صوت السفينة تشق بحيزومها عباب المحيط ، على حين كان شرار من النار يجرى مع الزبد الأبيض على جانبى المركب . سبحانك اللهم ! ! لقـــد نقشت فى كل شىء آى قدرتك ، ولا سيما فى أطباق اللجج وأعماق السموات : ملايين من النجوم تشع فى القبة الزرقاء ، وبدر تم يتألق فى كبد السماء ، وبحر لُجِّى من غير ساحل ولا حد ، ولا نهايةٌ فى السماء وعلى الماء ! أبداً ماهزت قلبى عظمتك بمثل ما هزته فى هـــذه الليالى ، وأنا معلق بين الكواكب والأقيانوس ، فوق رأسى سعة لا تحد ، وتحت قدمى سعة لا تقاس

***

أنا لست شيئاً ، إنما أنا ناسك ساذج . ولطالما سمعت العلماء يجادلون فى (الكائن الأول) فلم أفهم عنهم . ولكننى لاحظت أن هذا الكائن المجهول يستعلن وجوده فى قلب الانسان كلما نظر فى المشاهد العظمى للطبيعة

ففى ذات ليلة ساجية الجو هفافة الريح ، وجدنا أنفسنا فى تلك البحار الجميـــلة التى تنضح شواطئَ (فرجينيا) ، وكانت الشُرُع كلها مطوية ؛ وكنت أنا مشغولاً داخل السفينة حين سمعت الناقوس يدعو البحارة إلى الصلاة ، فأسرعت مع رفقاء السفر أمزج دعواتى بدعواتهم ، وأضم صلاتى إلى صلواتهم . وكان الضباط والركاب قد أخذوا مواقفهم على كوثل السفينة ، والقسيس فى يده كتابه قد وقف من دونهم قليلاً ، والملاحون قد انتشروا على ظهر المركب . وكنا جميعاً واقفين ووجوهنا شطر قيدوم السفينة وهى ناظرة إلى المغرب . وكان

قرص الشمس وهو على أهبة المغيب فى الماء ، يتراءى من خلال الحبال فى وسط الفضاء ، فكان يخيل إلىّ من نوَسان كوثل السفينة أن الكوكب المضئ يغير أفقه فى كل لحظة ! وكانت قطع من السحاب قد انتثرت على غير نظام فى المشرق ، والبدر البازغ قد أخذ يرتفع بطيئاً فى الأفق ، وكانت بقية السماء صافية الأديم سافرة الوجه ؛ وفى جهة الشمال انبعث من البحر إعصار يتألق بألوان المنشور الزجاجى كأنه عمود من البلور قامت عليه قبة السماء ، فتألف منه ومن كوكب النهار وكوكب الليل مثلث باهر الجلالة !

إن الرجل الذى لا يدرك جمال الله فى هـذا المشهد ليستحق الرثاء والرحمة ! أسبلتْ أرواق عيني على الرغم منى حين حسر الرفاق قبعاتهم المقطرنة عن رءوسهم وأنشدوا بصوت أصحل أبح نشيدهم البسيط : « سيدتنا صاحبة المعونة وحامية البحارة »

اشـد ما أثر فى نفسى صلاة هؤلاء الرجال وقد وقفوا وسط المحيط على لوح هشّ من الخشب يتأملون الشمس وهى تغرب فى اللجة : فالشعور بحقارتنا أمام عظمة اللانهاية ، وأناشيدنا المرسلة على الأمواج ، ودنو الليل بويلاته ومكائده ، وسفينتنا العجيبة فى بحر مسجور بالعجائب ، وفريق من البحارة استولى على قلوبهم الاعجاب والخوف ، وقسيس جليل عاكف على الصلاة ، والله الذى تجلى للبحر فأمسك باحدى يديه الشمس على حجاب المغرب ، ورفع بالأخرى القمر من مهاد المشرق ، وهو يسمع من خلال الفضاء المطلق أصوات خلقه ، كل أولئك لا يستطيع قلم أن يصوره ، ولا قلب مهما دق شعوره أن يتصوره !

الزيات

دعاء

Invocation

لشاعر الحب والجمال لامرتين

أشار لامرتين فى كتابه (رفائيل) إلى الأشعار الأولى التى « انبجست من قلبه » والتى قرأها « دون أن يجرؤ على رفع بصره إلى رفعها إليها » . ومن المحتمل أن تكون هذه الأبيات :

أنتِ يا من ظهرت لى فى صحراء هذه الدنيا ! يا ساكنة السماء وعابرة هذه الأرض ! يا من أضأت لى بشعاع من الحب هذا الليل الغاشى ! اظهرى بشخصك كله لعينى المشـدوهة ، وقولى لى ما اسمك ، وما وطنك ، وما حظك ؟ أأنت من سلالة أرضية ، أم أنت من نفحة قدسية ؟

* * *

أتذهبين غداً إلى شهود الضياء الخالد ؟ أم لا يزال أمامك فى دار البعاد ودنيا الحداد وموطن البؤس خُطًى تقطعينها فى طريقك الشاق المتعب ؟ مهما يكن اسمك وحظك ووطنك يا ابنة الأرض أو يا ابنة السماء ، فدعيني ما دام ينبض بالحياة قلبى ، أقدم اليك عبادتى أو حبى

* * *

اذا وجب عليك مثلنا ، أن تستوفى أجلك وتبلغى مداك ، فكونى سندى ودليلى ، واسمحى لى أن أقبّل فى كل مكان غبار خطواتك المحبوبة . أما إذا طرت يا أخت الملائكة عن دنيا الشقاء والجحود ، لتعيشى بجوارهم فى دار النعيم والخلود ، فاذكرينى فى ملكوت السماء ، بعد أن أحببتني أياماً على هذه الغبراء !

الزيات

الكتب

على عتبة الأمومة

تأليف الدكتور مصطفى الخالدي

ليس هذا الكتاب كما يتبادر الى الذهن كتاب طب وضع للأطباء، بل هو كتاب من كتب الثقافة العامة، وضع لكل شابة وشاب، ألفه الدكتور الخالدي، الأستاذ في فن التوليد والأمراض النسائية في جامعة بيروت الأمريكية، ويقع في مائتي صفحة كبيرة، متقن الطبع، جميل السبك، متين الورق.

وقبل أن أحدث القارىء عن مباحث هذا الكتاب النافع، أشير الى ناحية فيه قد عظم إعجابي بها: ذلك أن الدكتور المؤلف قد بلغ حداً فائقاً من المهارة في تقديم المسائل العلمية والفنية الى عامة القراء، مما جعل كتابه في متناول كل قارىء، يفهمه في غير عسر، بل يقبل عليه في شغف ولذة، هذا الى ما احتوى عليه من صور دقيقة واضحة، تبين أجزاء البحث، ومنها عدد يتعلق بناحية الجمال والعاطفة دون أن يبعد عن المقصد الذي يسمى اليه المؤلف، إذ كان محوره بيان الأمومة السعيدة والطفولة السعيدة

وينبغي أيضاً أن أشير الى الأسلوب الذي نهجه الدكتور، فهو أسلوب من حدد موضوعه ورسم جزئياته في نفسه، وتبين غايته منه، فاستطاع أن يكون سهل الأداء قريب المأخذ، بعيد المرمى، مما يتفق مع طبيعة هذا الكتاب وموضوعه الدقيق

والكتاب بعد ذلك مزيج من العلم والعاطفة، فموضوعه الأرشاد في ضوء القواعد والأصول، وغايته إسعاد الأم والأبناء، مع الشعور دائماً «بأن المحيط الذي سيخدمه هذا الكتاب هو محيطنا الشرقي الذي يقدس الشرف والحياء الجنسي، فلا تخجل من قراءته العذراء، ولا يجد القارىء طي صفحاته إلا كل ما يحض على اتخاذ المثل العليا في الحياة غاية لسعادة الأمومة والحياة»

افتتح المؤلف كتابه، بتلك الأسطورة الهندية الشهيرة في خلق المرأة، ثم قدم لبحثه في كلمة أشار فيها الى تسلط الأوهام والخرافات على كثير من العقول فيما يتعلق بأمر الحمل والولادة بسبب الجهل، مؤيداً قوله ببعض الحوادث التي صادفته وبعض الأحصاءات التي اطلع عليها

بعد ذلك أورد كلمة في الانقسام الخلوي وتكون الجنين، ثم شرح في دقة وسهولة الأعضاء التناسلية في المرأة، وما يطرأ عليها في سن البلوغ، وتكلم عن الاشتراكات إبان الحمل، وعن الولادة والنفاس والطفل الوليد، وما يجب اتخاذه من وسائل العناية أثناء الحمل والولادة وعقب ذلك، واختتم موضوعه الخطير بفصل ممتع في الغريزة الجنسية، وبيان بعض الأمراض، وبعض المسائل التي تشغل بال الانسان في شبابه، ثم بكلمة رقيقة حصيفة الى المتزوجين ومن هم على أهبة الزواج

وإني لأشكر الدكتور المؤلف، معترفاً له بجميله هذا، فلقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب وأحببته حباً عظيما، يدعوني الى أن أتقدم الى القراء بخالص النصح عسى ألا تفوتهم قراءة هذا الأثر النافع الجميل

مرآة النساء

تأليف الأستاذ محمد كمال الدين الأدهمي

يطلب من مكتبة صبيح بميدان الأزهر ثمنه ثمانية قروش عدا أجرة البريد

يقع هذا الكتاب في مائتين وأربعين صفحة من القطع المتوسط، ألفه الأستاذ الشيخ محمد كمال الدين الأدهمي بقلم المحفوظات التاريخية بديوان جلالة الملك، وقد جمع فيه كثيراً مما ذكر قديماً وحديثاً عن المرأة في جميع نواحي حياتها، فأورد بعض ما قيل في مدح النساء والدعوة إلى الرفق بهن، وبعض ما ذكر فيهن على لسان الشعراء والأدباء وأوصاف المرأة الصالحة ومسلكها كربة بيتها، ومقاييس الجمال النسوي ومباريات الجمال وأدب المرأة ومبلغ علمها، وعناية الأسلام بشؤونها، وما جاء في الشريعة عنها

من الأوصاف ، مع ذكر تراجم الكثيرات من شهيرات النساء كالسيدة عائشة رضى الله عنها وكأم هارون الرشيد وقطر الندى وشجرة الدر ، وعائشة التيمورية

كذلك تعرض الأستاذ لمسألة الحجاب والسفور وماقيل فى هذا الباب فى الشرع وما ثارفيه من جدال بين المفكرين والكتاب

فأنت ترى أن الكتاب أشبه بالجمع منه بالتأليف على أن لكل عمل ثوابه إذا كانت وجهته لخير الصالح العام ، وإنك لن تعدم فى مطالعة هذا الكتاب الاستمتاع بما ورد فى شتيت الكتب عن النساء من طرف أدبية ومن بحوث مفيدة ، وقد انتظم الكثير منها بين دفتيه ، ولعل القارئ حين يطالعه ينفتح له كثير من الموضوعات الجديدة بالبحث فيما يتعلق بالمرأة الشرقية فى نهضتها الحالية ، ويعين له من أوجه البحث ما نحن فى أشد الحاجة إليه .

وإنى لأشكر للأستاذ الأدهمى مابذل من مجهود وما توخى من خير

الخفيف

القصص المدرسية

قال الأساتذة : سعيد العريان ، وأمين دويدار ، ومحمود زهران مؤلفو هذه القصص المدرسية :

« ليس من شك فى أن الطفل بطبعه ولوع بالقصة ؛ وأن الأدب العربى على سعته وغناه يكاد يخلو من القصة السهلة التى يستطيع الطفل أن يقرأها فى رغبة وشوق . فبينا نرى الآداب الأجنبية حافلة بكل مايجذب الطفل ويحبب اليه القراءة والمطالعة ، نجد الأدب العربى يكاد يخلو جملة من « أدب الطفل » ؛ وبينما الطفل الأجنبى يتلقى أكثر معلوماته عن الحياة فى أسلوب « القصة » الجذاب — نرى الطفل العربى يتلقى أكثر مسائل العلم فى أسلوب جاف ، وطريقة لا تلائم طبيعته المرحة

ولاشك أن المدرسين أكثر إحساساً بهذه الحقيقة ، وأشد شعوراً بحاجة الطفل العربى إلى أدب سهل يشوقه ويجذبه ، ويوافق نزعته وميله . هذا الشعور هو الذى دفعنا إلى أن نحاول سد هذا الفراغ ، بوضع قصص سهلة تلائم طبع الطفل وتتمشى مع روحه ، فبدأنا بوضع سلسلة من القصص ، سميناها : (القصص المدرسية)

ورمينا فيها إلى الأغراض الآتية :

(١) — أن تكون وسيلة إلى تعليم الانشاء ؛ فجعلنا أسلوبها سائغاً مفهوماً ، لايبعد من الفصحى ، ولايتدنى إلى لغو العامية ؛ وحاولنا بسبيل ذلك أن نقرب بين اللغة التى يتكلمها التلميذ ، والعربية التى يتعلمها ؛ فأبقينا على كل كلمة عامية لها فى العربية أصل يؤيدها ، غير وانين فى التنقيب والبحث فى كتب اللغة عن كل كلمة فى مظانها ووضعنا تحت عين التلميذ نماذج من جيد الانشاء ، مبثوثة فى تضاعيف القصة ، مفرقة فى حواشى الكلام ليسهل على التلميذ تناولها من غير أن يشعر بسأم التعلم ؛ فلا يكاد يأتى على القصة حتى يكون قد اجتمع له من فصيح الكلام قدر يعينه على تجويد المحادثة والانشاء

(٢) — وأن تكون وسيلة الى تهذيب الطفل ؛ لذلك عنينا بأن يكون موضوع قصصنا غير بعيد من جو التلميذ ، بحيث يسهل عليه تصوره ومتابعته بخياله ، وبحيث يتهيأ له أن يعرف الطريق الى الرجولة الفاضلة من غير أن يلتوى عليه السبيل

(٣) — وأن تكون وسيلة الى تسليته ؛ ولهذا حاولنا مااستطعنا أن نجعلها جذابة فى كل شىء ؛ صغيرة الحجم ، يستطيع الطفل أن يضعها فى جيبه ليقرأ فيها متى وأنى شاء . مشكولة ، ليمكن التلاميذ قراءتها بغير معاناة ؛ جميلة مصورة ، زاهية اللون ، لتدعو الطفل اليها بمنظرها الجميل ، كما جعلناها رخيصة الثمن ، ليكون فى طاقة كل تلميذ أن يحصل عليها ، طيبين نفساً بما نبذل من وقت ومال وراحة فى سبيل الغرض الذى ننشده ؛ فان أفلحنا فى الوصول اليه فذاك حسبنا ، وإلا فاننا ماضون فى طريقنا دائبون على تكميل كل نقص نراه أو يلفتنا اليه الناصحون »

وقد نشر الأساتذة الفضلاء قصتهم الطفلية الأولى وهى « مدمس أكسفورد » تقع فى ٥٤ صحيفة ، مشكولة كلها بالشكل الكامل . وموضوعها جذاب طلى . يصل بنفسه الى أعماق نفس التلميذ ، ويجمع له بين القراءة والتفصح والتهذيب ويرمى بهمته الى بعيد ، ويسمو بعواطفه الى أعلى

وقد ختمت هذه القصة باستخراج سبعة موضوعات إنشائية منها ، مبينة فى آخرها ، ليكتب فيها التلميذ الصغير ؛ فكانت القصة بذلك جامعة بين القراءة والكتابة ، محققة لأغراض الأساتذة المعلمين

وثمن كل قصة خمسة مليمات ، وتطلب من إدارتها بطنطا